مراتب المحبة في
القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة

أولاً : مراتب المحبة وأسبابها الدافعة لها في القرآن الكريم :-

لقد تعددت مراتب المحبة حتى كتب فيها كثير ممن تناولوا المحبة في القرآن الكريم وهي درجات أولها .

١- **العلاقة** : وسميت علاقة لتعلق القلب بالمحبوب وليس أدل على ذلك من تعلق المؤمنين بربهم حتى أن أصحاب الرسول ﷺ وكانوا يذكرون الله تعالي في كل حين وكل وقت ولشدة تعلقهم بالله كانت لا تطمئن قلوبهم إلا بذكر الله تعالي قال تعالي " الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللَّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ "[1] وضرب الصحابة المثل الرائع في تعلقهم برسول الله ﷺ فما توضأ وضوءاً قط ولا تفل تفلاً قط إلا تبادروه يقسموه فيما بينهم وهو ما ذكرته كتب السيرة .

٢- **الإرادة** : وهي ميل القلب إلى محبوبة وطلبه له ، ولذلك فإنه من تمام المحبة وكمالها عدم رؤية الحق إلا لله تعالي ولمن أحبة الله وأقره بحبه . فالمسلمون جميعاً تميل قلوبهم إلى ربهم لذا كانت قرة أعينهم في الصلاة وفى الحج وفرح قلوبهم وسرورهم ونعيمهم عند فعل ما يرضاه حبيبهم .

٣- **الصبابة** : وهي انصباب القلب إلى المحبوب ، بحيث لا يملكه صاحبة قال الشاعر :

تشكيَّ المحبوب الصبابة ليتني تحملت ما يلقون من بينهم وحدي

---

[1] سورة الرعد (٢٨)

فكانت لقلبي لذة الحب كلها فلم يقلها قبلي محب ولا بعدي [1]

٤- **الغرام** : وهو لزوم القلب للحب لزوماً لا ينفك عنه كملازمة الغريم لغريمة ، وقد كان الصحابة مغرمون بالنبي ﷺ لأن حبه قد لزم قلوبهم فما من أمر يأمر به إلا تبادروه بحب فائق فما ارتدوا بعده ولا نكصوا عهودهم وتطلعنا السيرة على كثير من ذلك حتى أنهم كان منهم السادة في الجاهلية فأصبحوا في الإسلام وقد باعوا كل ذلك بسبب لزوم حب الله ورسوله لقلوبهم فهذا أبو بكر الصديق (ت ١٣هـ) [2] يلبس ثياباً مرقعه بعدما كان من أغني تجار مكة وهذا مصعب بن عمير (ت ٣هـ) [3] يموت

---

[1] الإمام ابن القيم (شمس الدين محمد بن أبي بكر) (الجواب الكافي) ص٢٢١ طبعة ٤ سنه ١٤٠٧هـ دار الريان للتراث - القاهرة .

[2] أبو بكر الصديق رضي الله عنه : هو صديق الأمة - وأول من أسلم من الرجال وكان على بن أبى طالب يحلف بالله أن الله تعالي أنزل اسم أبي بكر من السماء : الصديق أخرجه الطبراني (٥٥/١) وهو ثاني اثنين إذ هما في الغار وصاحب الخلافة الأولي - وقد وردت أحاديث كثيرة في فضله ومنزلته في الأمة بعد الرسول صلي الله عليه وسلم وتوفي العام الثالث عشر .
انظر ترجمته في تهذيب الكمال (٧٠٩/٢) تهذيب التهذيب (٣١٥/٥) ،(٥٣٧) تقريب التهذيب (٤٣٢/١) ،(٤٦٦) خلاصة تهذيب الكمال (٧٨/٢) الكاشف (١٠٨/٢) ، الجُرح والتعديل (١١١/٥) ، أسد الغابة (٣٠٩/٣) التجريد (٣٢٣/١) الإصابة (١٦٩/٤) الاستيعاب (٩٦١/٣٢) الوافي بالوفيات (٣٠٥/١٧) ، (صفة الصفوة /٩٥/١ .

[3] مصعب بن عمير - رضي الله تعالي عنه : هو مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي -يكني أبا محمد - أسلم بدار الأرقم وكتم إسلامه . هاجر إلى الحبشة مرتين وكان من أنعم الناس قبل الإسلام فلما أسلم زهد في الدنيا فتحسف جلده تحسف الحية . كان أول رسول لرسول الله صلي الله عليه وسلم إلى المدينة يفقههم في الدين ويقرئهم القرآن ففشا فيهم الإسلام قال ابن شهاب : وكان أول من جمع الجمعة بالمدينة بالمسلمين قبل أن يقدمها رسول الله صلي الله عليه وسلم . وحمل اللواء يوم أحد فقتل دونه شهيداً رضي الله تعالي عنه وأرضاه في الخالدين وقيل إنه مات وهو ابن أربعين سنه أو يزيد شيئاً . انظر ترجمته ، في الإصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر (٢٠٨،٢٠٩/٩) أسد الغابة لابن الأثير (١٨١/٥- ١٨٤) الاستيعاب لابن عبد البر (٢٥١،٢٥٣/١) وصفة الصفوة لابن الجوزي (١٥٠،١٥١/١)

فلا يجدون له ما يكفنونه فيه وهذا عمر بن الخطاب (ت ٢٣هـ) [١]يدخل بيت المقدس ليتسلم مفاتيحها وعليه ثوب به أربع عشرة رقعة – ولم يكن يحدث لهؤلاء هذا لولا لزوم الحب لله ولدينه ولرسولهﷺ ولهذا قالﷺ "ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد رسولاً " [٢]

٥– **الوداد** : وهو صفو المحبة ولبها [٣] والودود من أسماء الله تعالي وهو كثير الود لعباده ، المتحبب إلى الطائعين بمعرفته ، والى المذنبين بمغفرته ، والى الخلق برزقه وكفايته وقد قال تعالي " إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُداً " [٤] أي " أن المؤمنين العاملين الصالحات يحبهم الله ، ويحببهم الناس " [٥] ويعضد هذا أيضاً ما جاءَ من الأحاديث

---

[١] عمر بن الخطاب – رضي الله تعالي عنه : أبو حفص وصاحب المنزلة الرفيعة في الإسلام كله بعد الصديق – وهو أول أمير للمؤمنين بعد الصديق – كان حكمه عدلاً صرفاً – دون الدواوين ورحم الأرملة والمسكين وعطف بالرضيع واليتيم وعلم الشباب ونشر القراء في الأمصار – سيرته أعز من أن تنسي وأفعاله أعظم من أن تحصي بشره الرسول صلي الله عليه وسلم بالبشريات العظيمة فكان من السابقين الأولين فنال الرضا والشهادة والجنة – مات رضي الله عنه بعد أن نشر الإسلام وهدم صرح الفرس والروم وملك بساطهما وكانت شهادته في صلاة الصبح وهو يؤم الناس سنه ٢٣هـ انظر ترجمته تهذيب التهذيب (٤٣٨،٧٢٤/٧) وتقريب التهذيب (٥٤/٢)وخلاصة تهذيب الكمال (٢٦٨/٢) ، الكاشف (٣٠٩) ، تاريخ البخاري الكبير (١٣٨/٦) وتاريخ البخارى الصغير (٢٣٦/٢) والجرح والتعديل (١٠٠٥) وأسد الغابة (١٤٥/٤) والرياض المستطابة (١٤٧) والحلية (١/ ٣٨،٥٥) طبقات ابن سعدله (١٤١/٩) ، طبقات الحفاظ (٦٢٨) ، أسماء الصحابة الرداة (ت– ١١) ، التجريد (٣٧/١) وصفة الصفوة (١٠٦،١١٥/١)

[٢] رواه مسلم ح١ صـ ٦٢ رقم ٣٤٢ ، وابن حبان في صحيحة ح٤ صـ ٥٩٢ رقم ١٦٩٤ صـ٢٨

[٣] ابن للقيم : المدارج ح٣ صـ٢٩

[٤] سورة مريم (٩٦)

[٥] المنتخب في تفسير القرآن الكريم سورة مريم .

الشريفة التي تظهر مدي ما يفيضه الله تعالي من الود والمحبة على عبادة الصالحين لإخلاصهم له في المحبة وإفراده بها فعن أبى هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ، إذا أحب الله العبد نادي جبريل : إن الله يحب فلاناً فأحببه فيحبه جبريل ، فينادي جبريل في أهل السماء ، إن الله يحب فلانا فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول في الأرض "[1] وعن أبى هريرة أيضاً قال : " قال رسول الله ﷺ : إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالى ؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم لا ظل إلا ظلي " [2] وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه – قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : قال الله تبارك وتعالي : وجبت محبتي للمتحابين في ، والمتجالسين في ، والمتزاورين في والمتبادلين في .

٦- **الشغف** : وهو أن يصل الحب إلى شغاف القلب أي إلى أصلها ولا يوجد اختلاف في أن حب الله والرسول صار متأصلاً بقلوب المؤمنين فهم لذلك يرجون رحمته ويخافون عذابه يذلون لمن أحبهم ويشتدون على من أبغضهم وكرههم .

٧- **العشق** : وهو الحب المفرط الذي يخاف على صاحبه منه وهذا الحب لا يجوز في حق الله تبارك وتعالي ولذا يقول ابن القيم" لا يوصف به الرب تبارك وتعالي ، ولا العبد في محبة ربه ،وإن أطلقه سكران من المحبة قد أفناه الحب عن تمييزه ، كان في خفارة صدقه ومحبته " [3]

٨- **الشوق** : وهو عند المحبين " ثمره من ثمارها فإن من أحب شيئاً اشتاق إليه " [4] وهو سفر القلب إلى المحبوب أحثّ السفر ويجوز إطلاقه في

---

(١) الحديث الشريف البخاري ح٣ صـ ١١٧٥ رقم ٣٠٣٧ ، ومسند أحمد ح٢ صـ ٥١٤ رقم ١٠٦٨٥

(٢) الحديث ح٤ صـ ١٩٨٨ رقم ٢٥٦٦ رواه مسلم

(٣) ابن القيم (مدارج السالكين) ح٣ صـ٣٠

(٤) المقدسي (ابن قدامه) مختصر منهاج القاصدين صـ٣٣١ مكتبة أسامة الإسلامية – القاهرة ..

حق الرب تعالي ، فعن عمار بن ياسر رضي الله عنه (ت ٣٧هـ) [١] " أنه صلي صلاة فأوجز فيها ، فقيل له فى ذلك فقال : أما أني دعوت فيها بدعوات كان النبي عليه الصلاة والسلام يدعو بهن : اللهم إني أسألك بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق أحيني إذا كانت الحياة خيراً لي وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي ، اللهم أسألك خشيتك في الغيب والشهادة وأسألك كلمة الحق في الغضب والرضي ، وأسألك القصد في الفقر والغني ، وأسألك نعيماً لا ينفد ،وأسألك قرة عين لا تنقطع ، وأسألك برد العيش بعد الموت وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، وأسألك الشوق إلى لقائك ، في غير ضراء مضرة ، ولا فتنه مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان ، واجعلنا هداة مهتدين " [٢] ولهذا " لما علم الله سبحانه شدة شوق أوليائه إلى لقائه ، وأن قلوبهم لا تهتدي دون لقائه ، ضرب لهم أجلاً وموعداً للقائه تسكن به نفوسهم " [٣] .

٩- **التتيم** : وهو التعبد والتذلل ، ويقال تيَّمَه الحب أي ذلله وعبده والمتيم – هو المتفرد بحبه وشجوه ، وهذه المرتبة تدل على كمال المحبة وهي عنوان للمحبين الخالصين " ولهذا كانت أشرف أحوال العبد ومقاماته هي العبودية ، فلا منزل له أشرف منها " [٤] وقد بلغ رسول الله في هذه

---

[١] عمار بن ياسر بن مالك : الصحابي الجليل أمه سميه أسلم قديماً وكان من المستضعفين الذين يعذبون بمكه ليرجعوا عن دينهم ، لحرقه المشركون بالنار وشهد بدراً ، ولم يشهدها ابن مؤمنين غيره ، وشهد أحداً والمشاهد كلها مع رسول الله صلي الله عليه وسلم وسماه الطيب المطيب مات شهيداً وهو يحارب مع أمير المؤمنين على بن أبي طالب في صفين سنه سبع وثلاثين قتله أبو الغادية ، عن أنس بن مالك قال : قال رسول الله صلي الله عليه وسلم (إن الجنة تشتاق إلى ثلاثة : على وعمار وسلمان) أخرجه الترمذي في الجامع (٣٧٩٧) في كتاب المناقب، وقال حديث حسن غريب لا نعرفه الا من حديث الحسن بن صالح) أنظر ترجمته في (الطبقات الكبرى لابن سعد (١٣٨/٩) ، (١٤/٦) ، طبقات خليفة العصفري (٧٥/٢) تاريخ البخاري الكبير (٢٥/٧) الجرح والتعديل (٣٨/٦) الاستيعاب لابن عبد البر ترجمته رقم (١١٣٥) وصفة الصفوة (١٦٩/١)

[٢] سنن النسائي ح٣ صـ٤٥ رقم ١٣٠٥ وأحمد في مسنده

[٣] الجوزية (ابن قيم) الجواب الكافي صـ٢٢٢

[٤] الجوزية (ابن قيم) الجواب الكافي صـ ٢٢٧

المرتبة أعلاها وشهد له بها الله تبارك وتعالي معلنا منزلته ومحبته وسبقه فقال سبحانه " وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَداً " [1] ووصفه بها أيضاً في أشرف المقامات التي وهبها له ومنها مقام الإسراء قال تعالي " سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ " [2] وفى مقام التحدي بالرسالة أيضاً قال سبحانه وتعالي " وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ " [3] ولهذا أيضاً نجد المولي تبارك وتعالي يمتدح عباده المؤمنين وينجيهم من كرب يوم القيامة وذلك لأنهم قد حصلوا بفضله على مرتبة العبودية ، فمدحهم وأعلي ذكرهم في الدنيا وفى الآخرة يقول تعالي واصفاً حال عباده في الدنيا " وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْناً وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الجَاهِلُونَ قَالُوا سَلاماً * وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّداً وَقِيَاماً "[4] ولأنهم استحقوا صفة العبودية في الدنيا لفرط محبتهم لربهم وتلذذهم بطاعته وتذللهم له ضمن لهم النجاة في الآخرة قال تعالي " يَا عِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ * الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ* ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ* وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ" [5] ولهذا لا عجب أن ينالوا كل هذا الفضل من الله تبارك وتعالي وذلك لأن أكبر الجرائم والافتراءات هي الشرك بالله تعالي ، وأصل الشرك بالله : الإشراك في المحبة [6] كما قال تعالي " وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ

---

[1] سورة الجن (١٩)

[2] سورة الإسراء (١)

[3] سورة البقرة (٢٣)

[4] سورة الفرقان (٦٣- ٦٤)

[5] سورة الزخرف (٦٨- ٧٢)

[6] الجوزية (ابن قيم) صـ٢٢٧ ـ الجواب الكافي

مِن دُونِ اللَّهِ أَندَاداً يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُواْ إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ" [1]
قال الإمام القرطبي " أي يسوون بين الأصنام وبين الله تعالي في المحبة " [2]
ولكن " الموحدين لله لما خلصت محبتهم له كانت أشد من محبه أولئك " [3]
وذلك " لأن الله تعالي أحبهم ، أو لأنهم أحبوه ، ومن شهد له محبوبه بالحب كانت محبته أتم " [4] والمقصود هنا أن العبودية لا تحصل ولا تتم مع الإشراك بالله في المحبة ولهذا كانت المحبة لله من لوازم العبودية لله تعالي فمحبة رسول الله ﷺ هي محبه لله فبه هدانا الله وأكرمنا وأعزنا ونصرنا ولذا وجبت محبته واتباعه في كل أمر من الله تعالي فإذا نقصت أو اختلت هذه المحبة فُقِدَ شرط الإيمان وهو المتمثل في محبة الله تعالي وحده لا شريك له ولذا قال ﷺ في الحديث " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من ولده ووالده والناس أجمعين " [5] بل لم تقف المحبة لله عند عتبة الرسول فقط ولكن تعدتها إلى كل من أقام محبة الله ورسوله طاعة في باطنه وظاهرة .
قال رسول الله ﷺ: " إن من الإيمان أن يحب الرجل رجلاً لا يحبه إلا لله من غير مال أعطاه فذلك الإيمان " [6] ولقد تفاوتت درجة الإيمان أيضاً استناداً إلى هذا الأصل العظيم – فكل من تمثل المحبة صار مؤمناً ولكن من كان حبه لأخية المسلم أعظم وأبين كانت درجته أعلي وأرفع ، فعن أنس رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ " ما تحابا رجلان في الله إلا كان أحبهما إلى

---

[1] سورة البقرة (١٦٥)
[2] القرطبي : التفسير ح١ صـــ ٥٨٣: ٥٨٤
[3] الجوزية (ابن قيم) الجواب لكافي صـــ٢٢٨
[4] القرطبي : التفسير ح١ صـــ ٥٨٣ : ٥٨٤
[5] البخاري ح١ ص١٤ رقم ١٤ باب من الإيمان أن يحب لأخية ما يحب لنفسه ،ومسلم ح١ ص٦٧ رقم ٤٤
[6] رواه الطبراني في الأوسط انظر الترغيب ج٤ صـــ٢٨

الله عز وجل أشدهما حباً لصاحبه " [1] وذلك لأن " منهج الإسلام يدعو إلى الإخلاص في كل شيء " [2] ولا يقف الأمر عند هذا الحد بل إن درجات الآخرة توزع على مكارم الأخلاق فأشد الناس تمثلاً لها أعلاها قدراً وقد روى عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : " من أحب رجلا لله تعالي فقال : إني أحبك لله فدخلا جميعاً الجنة ، فكان الذي أحب أرفع منزلة من الأخر ، وأحق بالذي أحب لله " [3] ولعل هذا هو أروع ما في الألوهية أن يكون الإله مطلعاً على خفايا الأنفس وما تخفي الصدور ولذلك قال تعالي " وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ " [4] ومن الإيمان أن يكون الحب لله والبغض أيضاً لله ، فقد نهي الله تبارك وتعالي المحبين أن يكون حبهم شركاً لمن يبغضهم الله تعالي سواء بسواء معه سبحانه قال تعالي " لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ "[5] وقد جاء في أسباب النزول للواحدي النيسابوري [6] أنها نزلت

---

(١) رواه ابن حبان والحاكم ، وقال صحيح الاسناد الترغيب ح٤ ص ٢٩

(٢) محبس (دكتور محمد محمد سالم) الفضائل في ضوء الكتاب والسنة صـــ٧٨

(٣) رواة البزار بإسناد حسن : الترغيب ج٤ صـــ٣٠

(٤) سورة البقرة (١٤٣)

(٥) سورة المجادلة (٢٢)

(٦) النيسابوري (أبو الحسن على بن أحمد) صـــ٣١٠ وقد حدث أن قال : قال ابن جريج حدثت أن أبا قحافة سب النبي صلي الله عليه وسلم فصكه أبو بكر صكه شديدة سقط منها ثم ذكر ذلك للنبي صلي الله عليه وسلم ، قال أو فعلته قال نعم قال فلا تعد إليه ، فقال أبو بكر : والله لو كان السيف قريباً مني لقتلته فأنزل الله تبارك وتعالي هذه الآية ، وروى عن ابن مسعود أنه قال نزلت في أبي عبيدة بن الجراح قتل أباه عبد الله بن الجراح يوم أحد وفى أبى بكر دعا ابنه يوم بدر إلى البراز فقال يا رسول الله دعني اكن في الرعلة الأولي فقال له رسول الله ، متعنا بنفسك يا أبا بكر أما تعلم أنك عندي بمنزله سمعي وبصري ، وفي مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد ، وفى عمر قتل خاله العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر وفى على وحمزه قتلوا عتبة وشيبة ابني ربيعه والوليد بن عتبة يوم بدر وذلك قوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم .

في جماعة من المؤمنين على عهد رسول الله كانت محبة الله ورسوله أحب إليهم مما سواهما ، وقال تعالي أيضاً محذراً المؤمنين أن يتخذوا عدو الله وعدوهم أولياء " يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاء تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءكُم مِّنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي وَابْتِغَاء مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاء السَّبِيلِ" [1] ولذلك إذا التزم المسلم الأمر والنهي الإلهيين فقد حقق معني العبودية لله تعالي ، والتي هي من أكمل مراتب المحبة .

١٠- **الخلة** : " هي المحبة التي تخللت روح المحب وقلبه ، حتى لم يبق فيه موضع لغير المحبوب "[2]" والخِلّ " هو " الودّ والصديق ، والمخالّه هي المصادقة والخليل هو الصديق ، والأنثى خليله " [3] وكما قيل :

قد تخللت مسلك الروح مني ولـــذا سمي الخليل خليلا

والخلة درجة لا تنبغي مهما ادعاها المدعون – إلا للخليلين محمد وإبراهيم صلوات الله عليهم كما قال " إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً " [4] والخلّه " منصب لا يقبل الشركة والقسمة " [5] ولذا قال الرسول

---

[1] سورة الممتحنة (١)

[2] الجوزية (ابن قيم) المدارج ح٣ صـــ٣١

[3] الـرازي (محمـد ابـن أبـي بكر) مختار الصحاح صـــ١٨٧ وفى المعجم الوجيز خالّه (مخالـــه) وخلالاً : صادقه ، والخل : الصديق المختص ، و(الخلّه) الصداقة والمحبة التي تخللـت للقلب فصارت خلاله أي في باطنة (ج) خِلال ، و(الخليل) الصديق الخالص.(ج) اخلاء – الآية صـــ٢١٠

[4] ورد هـذا الحديث مطولاً عن جندب رضي الله عنه في : مسلم (١/٣٧٧ – ٣٧٨) كتاب المسـاجد ومواضـع الصلاة ، باب النهي عن بناء المساجد على القبور . وعن عبد الله بن عمـرو في سنن ابن ماجه (١/٥٠) المقدمة ، باب في فضائل أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم .

[5] المدارج ح٣ صـــ٣٢

في حديث له " إني أبرأ إلى كل خليل من خلته ".[1] . حتى أبا بكر الصديق نفسه لم يكن لأحد عند رسول الله منزلة تساوى منزلته وقد أخبر عنه رسول الله ﷺ أنه " لو وضع إيمان الأمة في كفة وإيمان أبي بكر في كفة لرجحت كفة أبي بكر " يقول فيه رسول الله معترفاً له بالفضل وواضعاً الأمر في خلته لله في نصابه في الحديث الذي يرويه البخاري في باب فضائل الصحابة عن أبى سعيد الخدري رضي الله عنه [2] قال : قال رسول الله ﷺ " إن أمن الناس على في صحبته وماله أبو بكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربي لاتخذت أبا بكر ، ولكن أخوة الإسلام ومودته ، لا يبقين في المسجد باب إلاسُدَّ ، الإباب أبي بكر " [3] وقد أعلن الله هذه المرتبة في القرآن الكريم حيث قال تعالي " وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً" [4] وقد غار الخليل علي خليله فأراد أن يثبت محبته في قلبه وينزع من قلبه كل محبه تشغله أو تلفت قلبه عن حبه فابتلاه البلاء العظيم وأمره بذبح ولده وحبيبه الذي احتل شعبة من قلبه لكي " يخرج المزاحم من قلبه " [5] فلما أذعن وسلم وعزم علي فعل ما يحبه الحبيب قربه ربه وأبدله بالمحبه الخلة وهي كمال المحبة وتمامها وهذا

---

[1] الحديث عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه في سنن ابن ماجه (٣٦/١) (المقدمة) باب في فضائل أصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم .

[2] أبــو سعيد الخدري – رضي الله عنه هو سعد بن مالك بن سنان – مات أبوه هيداً يوم أحد – وشهد هو المشاهد بعد أحد مع الرسول صلي الله عليه وسلم – كان عفيفاً فعفه الله واستغن فأغـناه الله) انظــر ترجمــته فــي تهذيب الكمال (٤٧٣/١) وتهذيب التهذيب (٤٧٩/٣) وتقريب التهذيب (٢٨٩/١) ، وخلاصه تهذيب الكمال (٣٧١/١) والكاشف (٣٥/١)وتاريخ البخاري الكبير (٤٤/٤)

[3] الحديــث رواه الــبخاري ح١ صـــ١٧٧ رقم ٤٥٤ ، سنن الترمذي ح٥ صـــ٦٠٨ رقم ٣٦٦٠

[4] سورة النساء : آية ١٢٥ .

[5] الجوزية (ابن قيم) المدارج ح٣ ص٣٢

الأمر مضرب للمثل فهو متحقق بكمال علم الله ولكن احتاج لأن يؤصل في نفس إبراهيم عليه السلام بتنقيتها من درن الانشغال بغير الله فلما قدم محبة الله علي محبة ولده حصل المقصود أعطاه الله فوق المزيد قال تعالي"وناديناه أن يا إبراهيم قد صدّقت الرؤيا،إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين، وفديناه بذبح عظيم ، وتركنا عليه في الآخرين ، سلام علي إبراهيم كذلك نجزي المحسنين " [1]

وقد ظن بعض الناس خطأ أن المحبة أعلي فنسبوا الخلة لإبراهيم ونسبوا المحبة لمحمد ﷺوهذا خطأ لأن الخلة أعلي مراتب المحبة وهي متحققة بتمام العبودية لله وقد وصف الله رسوله بها وقد ثبت أن النبي قال لمعاذ (ت ١٨هـ) إني أحبك وهو يحب عائشة وأبا بكر (ت ١٣هـ) وعمر (ت ٢٣هـ) وكثير من الصحابة ولكنه قال قاطعاً الشك باليقين ، " إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً " وفى الصحيح عنه ﷺ أنه قال " لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن صاحبكم خليل الله " [2] وبذلك نفي أن يكون له خليل غير ربه مع أنه أثبت محبته لكثير من الصحابة وقد كان يحب زيد ابن حارثة وكان يُطلق عليه حبّ رسول الله وكان يحب أسامة ومنزلته منه معروفه وكان الصحابة يطلقون عليه "حبّ الرسول وابن حبّه" وأيضاً فإن الله سبحانه" يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ " [3] " يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ" [4] وأيضاً " يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ" [5] ويحب " إِنَّ

---

[1] سورة الصافات من آية: ١٠٣ :١١٠

[2] رواه البخارى ح٣ صـ١٣٧٧ رقم ٣٤٥٤

[3] سورة المائدة (٤٢)

[4] سورة البقرة (٢٢٢)

[5] سورة آل عمران (١٤٨)

اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ" [1] أما الخلة فهي خاصة بالخليلين صلي الله عليهما وسلم .

وعند مرتبة الخلة لا تنتهي مراتب المحبة بل تتفاوت بحسب تحقق العبد بكل مرتبة من هذه المراتب ، " فالمحبون لله على مراتب من المحبة بعضها أعلي من بعض ، فأشدهم حباً لله أحسنهم تخلقاً بأخلاقه . وقد مدح الله تعالي رسول بقوله "وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ " [2] ولما سئلت السيدة عائشة عن أخلاق الرسول قالت " كان خلقه القرآن [3] أي أنه كان متخلقاً بأخلاق الله ، والذي يدل على أن الرسول كان في أعلي مراتب العبودية فمدحه الله تعالي بها وسماه " عَبْدُ الله " [4] أنه مع ما وصل إليه من القرب من الحبيب يأمر بالاستغفار ويقول هادياً للأمة جميعاً " والله إني لأستغفر الله وأتوب إليه في اليوم أكثر من سبعين مرة " [5] ، وعن الأغر بن يسار المزني رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : " يا أيها الناس توبوا إلى الله واستغفروه فإني أتوب في اليوم مائة مرة " [6] والمعني " أي ارجعوا إلى الله بامتثال ما أمركم

---

[1] سورة الصف (٤)

[2] سورة القلم (٤)

[3] وهذا الأثر عن عائشة رضي الله عنها وجاء في حديث طويل رواه مسلم (١/٥١٢- ٥١٤) كتاب الصلاة المسافرين.- باب جامع صلاة الليل .. وفى سنن أبي داود ٢/٥٥- ٥٧ كتاب لتطوع باب في صلاة الليل

[4] سورة الجن (١٩)

[5] البخاري (٨/٦٧) كتاب الدعوات باب استغفار النبي صلي الله عليه وسلم في اليوم والليلة ، سنن الترمذي (بشرح ابن العربي) ١٢/١٤٤ كتاب التفسير ، سورة محمد ، المسند (ط . الحلبي) ٢/٢٨٢ ، ٣٤١

[6] مسلم ٨/٧٢ – ٧٣ (كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب استحباب الاستغفار والاستكثار فيه) (دليل الفالحين لطرق رياض الصالحين) لمحمد بن علان الصديقي الشافعي الأشعرى المالكي ت ١٠٥٧هـ دار الريان للتراث ط١ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

به واجتناب ما نهاكم عنه " [1] وعن عائشة رضي الله عنها " أن النبي ﷺ كان يقوم من الليل حتى تفطر قدماه ، فقلت له : لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال : أفلا أحب أن أكون عبداً شكوراً " [2] ومعلوم أن رسول الله كان يفعل ذلك اعترافاً بالنعمة لله تعالي ولذلك قال الله تعالي" وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ " [3] وكذلك لا يمكن للمسلم أن يترقي في مراتب المحبة لله حتى يحب ما يدله على ربه وأحق الخلق بهذه المرتبة هو الرسول ﷺ فإذا كان أشد الناس حباً لله أحسنهم تخلقاً بأخلاقه تعالي فإن من تمام هذه المرتبة أن يكون أشدهم حباً لرسوله ﷺهو أتم الناس تخلقاً بأخلاق الله تعالي وذلك " لأنه حبيب الحبيب " [4] ولم يكن في صحابه الرسول من وصل إلى مرتبة أبي بكر الصديق رضي الله عنه فعن عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه " أن عمر ذكر أبا بكر رضي الله عنهما وهو على المنبر ، فقال إن أبا بكر كان سابقاً مبرزاً"[5]وعن الحسن (ت ١١٠هـ) قال : " بلغني أنه كان من دعاء أبي بكر ، اللهم إني أسألك الذي هو خير لي في عاقبة الخير ، اللهم اجعل آخر ما تعطيني من الخير رضوانك والدرجات العلي من جنات النعيم " [6] وروي الإمام أحمد بن حنبل في كتاب الزهد عن معاذ ابن جبل (ت ١٨هـ) رضي الله عنه أنه " لما حضره الموت قال انظروا أصبحنا ؟ فأتي فقيل لم تصبح قال : انظروا أصبحنا فأتي فقيل لم

---

(١) الشافعي (محمد بن علان الصديقي) دليل الفالحين ط صـ٨٣

(٢) البخاري ح١ صـ٣٨٠ رقم١٠٧٨ ، مسلم ح٤ صـ ٢١٧١ رقم ٢٨١٩ ، الترغيب والترهيب ح١ صـ٢٤١ رقم ٩١٥ .

(٣) سورة سبأ : ١٣

(٤) المكي (قوت القلوب) ح٢ صـ٥٨

(٥) الإمام (أحمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١هـ) كتاب الزهد ، صـ ١٣٨ ، دار الريان للتراث ـ ط٢ ، ١٤١٢هـ / ١٩٩٢م .

(٦) المرجع السابق ، صـ ١٤٠ .

تصبح ، حتى أتي في بعض ذلك فقيل له قد أصبحت قال : أعوذ بالله من ليلة صباحها إلى النار ، مرحباً بالموت ، مرحباً زائراً مغيب ، حبيب جاء على فاقة ، اللهم إنى قد كنت أخافك ، فأنا اليوم أرجوك ، اللهم إن كنت تعلم أنى لم أكن أحب الدنيا وطول البقاء فيها لكري الأنهار ولا لغرس الشجر ولكن لظمأ الهواجر ومكابدة الساعات ومزاحمة العلماء بالركب عند حلق الذكر"[1] والمتصفح لصور المحبين يصل إلى يقين هو أن المحبة تزداد وتنقص على قدر المعرفة فأشد الناس حباً لله أعرفهم به وقد كان الصحابة أشد الخلق معرفة لله بعد الرسول ويسوقنا هذا إلى الحديث عن " أسباب المحبة " .

من الثابت الواضح الذي لا مراء فيه أن الإنسان فطر على حب ذاته فلا تربو عليها محبة الذوات الأخرى إلا إذا كان في هذه المحبة ما يرفع من قدر ذاته ويوصل إليها لذتها وسعادتها .، ومن هنا فإن " المحبوب الأول عند كل حي : نفسه وذاته " [2] ثم ماله وولده وما به بقاؤه ولا يصلح بقاء الإنسان إلا بتدبير الله تعالي له ومن هنا إذا اكتملت معرفة الإنسان بربه وعلم أنه هو الوحيد القادر على حفظ ذاته ، كان هذا هو السبب الأول من أسباب المحبة .

ثانياً : والسبب الثاني للمحبة هو حب الإنسان للإحسان : " فإن الإنسان عبد الإحسان " [3] وقد جبلت القلوب على حب من أحسن إليها والإحسان نوعان إحسان عطاء وإحسان تعليم ولنضرب لكل مثلاً :

---

[1] الإمام (أحمد بن حنبل) الزهد صـ٢٢٦

[2] الغزالي (الإحياء) ح٤ صـ٢٩٧

[3] الغزالي (الإحياء) ح٤ صـ٢٩٨ .

أولاً : إحسان العطاء :

فلو أن إنساناً أصبح كل يوم فوجد تحت وسادته مبلغاً من المال يستطيع به أن يمارس شئون حياته ويتمتع بما يلذه لكان هذا الإنسان للمحسن شاكراً ولفضله عارفاً . وذلك لدوام النعمة عليه وعدم زوالها . وهذا هو ما لفت الإسلام إليه نظر المستبصرين فأداه أول المسلمين ﷺ فقال " أفلا أحب أن أكون عبدا شكوراً " [1] وهذا يدلنا على أن مباشرة النعمة أوجبت المحبة للمنعم على عظيم فضله

ثالثا : إحسان التعليم :

وهذا الإحسان أبلغ من الأول لأن المحسن أراد أن يمنح الإنسان أسباب سعادته ويحفظ عليه ماء وجهه ويجعل له يداً دافعة في الحياة آخذا بأسبابها حتى لا تتعطل قواه وتتبلد مشاعره ، فيفقد المميزات التي عنده والتي أصبح بها سيداً لهذا الكون واستحق أن يكون خليفة لله في أرضه . وهذا إن دلّ فإنما يدل على فيض إحسان الله تعالي وعظيم منته الكبرى التي تستوجب محبته ، محبة خالصة قال تعالي " الرَّحْمَنُ*عَلَّمَ الْقُرْآنَ*خَلَقَ الْإِنسَانَ*عَلَّمَهُ الْبَيَانَ" [2] وقال تعالي أيضاً " وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا " [3] فانظر إلى فيض الإحسان حين اجتبي الله الإنسان وعلمه الكلام وعلمه أسماء كل شيء بل أيضاً علمه كيف يرتب أوراق حياته بالقراءة والكتابة ، قال تعالي " اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ* الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ* عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ" [4] وتتظاهر آيات

---

[1] رواه البخاري ، ج١ ، صـ ٣٨٠ ، رقم ١٠٧٨ ، ومسلم ج٤ ، صـ ٩٧١، رقم ٢٨١٩، والترغيب والترهيب ج١ ، صـ ٢١٤١ ، رقم ٩١٥ .

[2] سورة الرحمن (١- ٤)

[3] سورة البقرة (٣١)

[4] سورة العلق (٣- ٥)

الله الداله على إحسانه لتصل بالإنسان إلى تطهير قلبه من كل ما سوي الله تبارك وتعالي، قال عز وجل " وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّن بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ"[1]

وتظهر العناية الفائقة لإحسان التعليم في قولة تعالي " وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ* أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ" [2] وقال أيضاً" وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" [3]

ولم تقف نعمة إحسان التعليم عند حد المخلصين من العباد أو الرسل بل تعدتها إلى غيرها من البشر العاديين وإن كان منهم غير المؤمنين بالله رباً واحداً مستحقاً للمحبة الخالصة والذل التام بتمام العبودية . ولكنه جعل هذه المنن تكشف على أيديهم لأن الله " يعطي بكرمه وعدله لكل مستحق مستحقه " [4] فإذا اتضح بعد هذا أن المحسن هو الله وهو مصدر الخير كله تبيّن عظيم حبّه لنا بعظيم إحسانه وعنايته بنا فوجب لذلك حبه والقرب منه ، وهذا بدوره يسوقنا إلى السبب الثالث .

السبب الثالث :

" أن يحب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته ، بل تكون ذاته عين حظه ، وهذا هو الحب الحقيقي البالغ الذي يوثق بدوامه " [5] ومعلوم أن

---

(1) سورة الأنبياء (٨٠)

(2) سورة سبأ (١٠- ١١)

(3) سورة النحل (٧٨)

(4) خليفة (عبد الله) هل تحب الله صـ٦٤

(5) الإمام الغزالي (الأحياء)ح٤ ـ ٢٩٨

المحبوب إما محبوب لنفسه وإما محبوب لغيره " وكل ما سوى المحبوب الحق فهو محبوب لغيره وليس شيء يحب لذاته إلا الله وحده " [1] وكل ما سواه مما يجب " فإنما محبته تبع لمحبة الرب تبارك وتعالي كمحبة ملائكته وأنبيائه وأوليائه ، فإنها تبع لمحبته سبحانه وهي من لوازم محبته " فإذا أدرك هذا وعرف فإن محبة النفس ومحبة الإحسان لابد أن تندرج تحت محبة الله المحبوب لذاته فيه صلاح النفس ولذتها وبه دوام الإحسان وهي من لوازم محبته أيضاً ، ولابد أن يدفعنا هذا إلى معرفة الأسباب الجالبة لمحبته سبحانه والتي لا بد منها مادام الله متصفاً بكل صفات الجمال والجلال ولا يستحق المحبة غيره .

أسباب تحقق المحبة في قلب العبد وحصولها :.

١- **قراءة القرآن** : قراءة تَدَبُّر وفهم لمراد الله تعالي منه – فإن الله تعالي يحب الذاكرين الله كثيرا والذاكرات والقرآن هو كتاب الذكر الذي به يتقرب المحبون إلى ربهم فتحصل لهم به اللذة . قال تعالي " فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ " [2] والقرآن كتابه الذي عرفنا به حقيقة العبودية لله وحقيقة الأمر والنهي الإلهين وهو الميثاق الذي جمع الله عليه قلوب أوليائه ، فإذا وجد الإنسان نفسه بعد قراءته " يريد إعادته مرات ومرات وكلما قرأة وجد كلماته تزداد بترددها حلاوة ، ويزداد هو شوقاً إلى الله ، فهو المحب حقاً لله " [3] .

---

[1] الجوزية (ابن قيم) الجواب الكافي صـ٢٣٤

[2] سورة البقرة (١٥٢)

[3] خليفة (عبد الله) هل تحب الله صـ ٩٠ بتصرف

٢- **التقرب إلى الله تعالي بالنوافل :** قال تعالي " بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ" [١] وعن أبى هريرة رضي الله عنه قال " قال رسول الله ﷺ إن الله عز وجل قال : من عادي لي ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلى عبدي بشيء أحب إلى مما افترضت عليه ، وما يزال عبدي يتقرب إلى بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ، وبصره الذي يبصر به ، ويده التي يبطش بها ، ورجله التي يمشي بها ، وإن سألني لأعطينه ، ولئن استعاذني لأعيذنه ، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس عبدي المؤمن ، يكره الموت ، وأنا أكره مساءته " [٢] والذي يعلم من هذا الحديث الكريم أن التقرب إلى الله تعالي بالنوافل بعد الفرائض – كان محلاً لمحبة الله تعالي له وموالاته .

٣- **الذكر :** والمحب لا يستقر به حال يأنس إليه إلا زينه بدوام ذكره للمحبوب فيذكره بكل جوارحه وخصوصاً بالقلب فلا يغيب عنه وباللسان فلا يزال لسان المحبين رطباً من ذكرهم لله تعالي وهو ما أمتدحه وأمر به الشارع الحكيم وبهذا سبق إلى الذاكرين فضل الله تعالي ، فعن أنس رضي الله عنـــه

---

[١] سورة الزمر (٦٦)

[٢] البخاري ٨/١٠٥ كتاب الرقاق باب التواضع – وفى المسند (ط الحلبي) عن عائشة وعن أبى هريرة رضي الله عنهما ٦/٢٥٦

(ت ٩١هـ) [١] " عن النبي ﷺ قال : يقول الله : أخرجوا من النار من ذكرني يوماً ، أو خافني في مقام " [٢] ويكون الذكر للمحبوب أيضاً بمراقبته في الأعمال والأحوال . وكما قال رسول الله ﷺ في الحديث " الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك " وعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال : " سمعت رسول الله ﷺ يقول : يعجب ربك من راعي غنم في رأس شظيه الجبل ، يؤذن بالصلاة ، ويصلي فيقول الله عز وجل : انظروا إلى عبدي هذا ، يؤذن ويقيم الصلاة يخاف مني ، قد غفرت لعبدي ، وأدخلته الجنة " [٣] وبهذا فإن نصيب العبد من المحبة " على قدر نصيبه من هذا الذكر " [٤]

٤-الإيثار لله : يقول ابن القيم : الإيثار لله هو إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى ، والتسنم إلى محابه ، وإن صعب المرتقي " [٥] والإيثار سبب من أسباب المحبة وعلامة من علاماتها وقد كان صحابة رسول الله يؤثرونه على أنفسهم لعلمهم أنهم لن يصلوا إلى

---

[١] ترجمه الصحابي الجليل : أنس بن مالك بن النضر (ت ٩١هـ) هو آخر من مات من الصحابة بالبصرة رضي الله عنهم أجمعين كان خادم الرسول صلي الله عليه وسلم وقد جاءت به أمه إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم وقالت يا رسول الله هو خويدمك ادع الله له فقال (اللهم أكثر ماله وولده وأطل عمره واغفر ذنبه) أنظر ترجمته في : تهذيب الكمال (١٢٢/١) تهذيب التهذيب (٣٧٦/١) تقريب التهذيب (٨٤/١) وخلاصة تهذيب الكمال (١/ ١٠٥) أسماء الصحابة الرواة (٣) ، وتاريخ البخاري الكبير (٢٧/٢) وصفة الصفوة لابن الجوزي (٢٧٨/١) اعتني به أيمن صالح شعبان المكتبة التوفيقية ط١ القاهرة

[٢] الإمام الترمذي (الجامع) ح٢ قال حسن غريب

[٣] الإمام النسائي السنن باب الأذان لمن يصلي وحده ح٣ صـ٣٠ رقم ٦٦٦صحيح بن حبان ج صـ٥٤٥ رقم ١٦٦٠

[٤] الجوزية (ابن قيم) مدارج السالكين ح٣ صـ١٧

[٥] الجوزية (ابن قيم) مدارج السالكين ح٣ صـ١٨

درجة الإيمان الخالص ما دامت لأنفسهم فيهم حظ وقد كانوا يؤثرون نفسه على أنفسهم وأهله على أهليهم وضيفه على ضيوفهم وصحبه على أنفسهم وأصحابهم ولذا استعذبوا الذل طالما لله فأصبحوا أذله على المؤمنين وحسبنا مثلا عالياً في إيثار ما لله وللرسول هذه الواقعة المضيئة في تاريخ الإسلام المجيد ، فعن مسعود بن خراش رضي الله عنه " بينما نحن نطوف بين الصفا والمروة إذا أناس كثير يتبعون فتي شاباً موثقاً بقيده في عنقة ، قلت : ما شأنه ، قالوا : هذا طلحة بن عبيد الله – رضي الله عنه – صبأ ، وامرأة وراءه تدمدم وتسبه . قلت : من هذه ؟ قالوا الصعبة بنت الحضرمي أمة " [1]

٥-**مطالعة القلب لأسمائه وصفاته تعالي ومعرفتها ومشاهدتها** : ومن المعلوم عند ذوى البصائر أن صفات الكمال والجلال والجمال هي المطلب الأسمى لديهم لذا فإن أشد الناس تقلباً بين أسماء الله تعالي وصفاته عارفاً قدرها مشاهداً لعظمة سرها هو أشدهم حباً للذات الإلهية فصفات الله تعالي وأسمائه كالنهر العذب الجاري ينساب في الأرض فيسير فيها فروعاً وجداولا تروي كل من تعرض لها فأشدهم حباً لها أشدهم معرفة لقدرها ولمنازلها وأشدهم تمسكاً بها وانتهالاً منها . لذا قال صلي الله عليه وسلم " لله تسعه وتسعون اسماً مائة إلا واحداً لا يحفظها أحد إلا دخل الجنة ، وهو وتر يحب الوتر" [2] ولا يجوز لمن يعرف قدر الله وجلاله أن يعطل هذه الأسماء أو أن يخرجها عن مرادها الذي أراده الله تعالي .

---

[1] أخرجة البخاري في التاريخ –نقلا عن كتاب الرسول ح١ صـ ٢٦ لسعيد حوّي

[2] رواه البخارى باب (قول لا حول ولا قوة إلا بالله ح٥ صـ٣٥٤ حديث رقم ٦٠٤٧ ومسلم ح٤ ص٢٠٦٣ باب الحث على ذكر الله (كتاب – الدعاء والتوبة والاستغفار)

٦-" **مشاهدة برة وإحسانه وآلائه** :- ونعمة الباطنة والظاهرة فإنها داعية إلى محبته "[١]ومعلوم أن أنواع "إحسانه تعالي لا يحيط بها حصر" [٢] كما قال تعالي : " وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا " [٣] " لذا فينبغي للعارف أن لا يحب الا الله ، إذ الإحسان من غيره محال وكيف يكون غيره محسناً ؟ وذلك المحسن حسنة من حسنات قدرته ، فمن عرف هذا لم يحب إلا الله تعالي [٤] ولهذا قال أبو طالب المكي " وإنما تستبين المحبة وتظهر للعبد لحسن توفيقه وكلاءه عصمته ولطائف تعليمه من غرائب علمه وخفايا لطفه في سرعة ردهم إليه في كل شيء وقربه منهم أقرب من كل شيء وكثرة استعمالهم لحسن مرضاته ، وكشف اطلاعهم على معاني صفاته ولطيف تعريفه لهم مكنون أسراره وفتوحه لأفكارهم من بواطن إنعامه واستخراجه منهم خالص شكره وحقيقة ذكره ، فهذه طرقات المحبين له عن كشوف اطلاعه لهم من عين اليقين " [٥]

٧-**انكسار القلب بكليته بين يدي الله تعالي** : أي الذل لله تعالي حباً له ولا يتم ذلك إلا بعد معرفته فإذا تأكد لدية أنه ليس كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ

---

[١] الجوزية (ابن قيم) المدارج ح٣ صـــ١٨

[٢] (ابـن قدامـه المقدسي) (مختصر منهاج القاصدين صـــ٣٨٨) (كتاب المحبة والشوق والأنـس والرضـي) تحقيق الأستاذ سيد عمران والشيخ محمد عسقلاني ، والدكتور السيد محمد سيد – دار الحديث القاهرة ط٢ – ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م

[٣] سورة إبراهيم (٣٤)

[٤] المقدسي (ابن قدامه) المختصر صـــ٣٨٩

[٥] المكـي (أبـو طالـب) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحـيد الشيخ الإمام أبو طالب محمد بن أبي الحسن على ابن عباس المكي مطبعة الأنوار المحمدية – باب الخلق القاهرة في ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م ح٢ صـــ٦١

السَّمِيعُ البَصِيرُ" [1] عبده متذللا له حباً وكرامه وإلا فكيف يفسر أو يفهم حال المؤمنين مع بعضهم البعض في قوله تعالي " فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ " [2]

٨- **الخلوة به وقت النزول الإلهي** : أي الأوقات التي أخبرنا فيها النبي أن الله تبارك وتعالي يتنزل فيها على عباده ليتقبل دعواتهم ويغفر ذنوبهم ويقبل توبتهم ، وقد جاء في الصحيح [3] عن أبي هريرة رضي الله عنه – عن رسول الله ﷺ قال : ينزل الله إلى السماء الدنيا كل ليله حين يمضي ثلث الليل الأول ، فيقول : أنا الملك ، أنا الملك ، من ذا الذي يدعوني فأستجيب له ؟ من ذا الذي يسألني فأعطيه ؟ من ذا الذي يستغفرني فأغفر له ؟ فلا يزال كذلك حتى يضئ الفجر " [4] ولذا فإن المحبين يتعرضون لأوقات قربه وإظهار ما يحبه من القرب بالطاعة ، " لمناجاته وتلاوة كلامه ، والوقوف بالقلب والتأدب بأدب العبودية

---

[1] سورة الشورى (١١)

[2] سورة المائدة (٥٤)

[3] الحديث : عن أبى هريرة وغيره من الصحابة رضي الله عنه في البخارى ٥٢/٢ – ٥٣ (كتاب التهجد ، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل) ٧١/٨ (كتاب الدعوات باب الدعاء نصف الليل) ١٤٣/٩ (كتاب التوحيد باب قول الله تعالي : يريدون أن يبدلوا كلام الله) مسلم ١٧٥/٣– ١٧٦ كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب الترغيب في الدعاء ، سنن أبي داود ٤٧/٢ (كتاب الصلاة باب أي باب الليل أفضل ، ٣١٤/٤ كتاب السنه باب المرد على الجهمية) المسند (ط المعارف) الأرقام ٩٦٧، ٩٦٨، ٣٦٧٣، ٣٨٢١ ، ٧٥٠٠ ، ٧٥٨٢ ، ٧٦١١ ، ٧٧٧٩ ، وفي مواضع أخري كثيرة في المسند ، وأيضاً في سنن الترمذي وابن ماجه والدرامى ومسند الطيالسي (وانظر مفتاح كنوز السنه ، مادة : الدعاء) وأفردابق ابن خزيمة فصلاً لأحاديث النزول في كتابه " التوحيد " صـ ١٢٥ – ١٣٦

[4] رواه مسلم ١٧٥/٣– ١٧٦

بين يديه " [1] قال تعالي " وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ" [2] وقال أيضاً " تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ" [3]

٩-**مجالسة المحبين الصادقين** : فكما نبه رسول الله ﷺ" المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل " نبه الله تبارك وتعالي إلى أفضلية الحب فيه ، فالحياة لا تخلو من رفيق وصديق ولكن لا يعلم المرء من أين تأتيه النوائب – ولهذا فقد اختار الله لنا خير الإخلاء قال تعالي " الْأَخِلَّاء يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ" [4] فالمتقون وحدهم هم أحق الخلق بالصحبه . لآن الإنسان سوف يتمتع باقتطاف أطايب كلامهم وسوف يحشر معهم . فهم القوم لا يشقي جليسهم . كما جاء بذلك الحديث الصحيح .

١٠-**مباعدة كل الأسباب التي تحول بين القلب وبين الله عز وجل** : فلابد للمحب الحق أن يترك الأهواء وأن يقطع كل اللذات بالمقارنة بلذة محبوبة وكما قيل " من كان لله كما يريد كان الله له فوق ما يريد " [5] ولذلك فإن بغض ما يبغضه الله تبارك وتعالي من الأقوال والأفعال والأشخاص والأحوال – كل ذلك إذا تم لله تمت معه المحبة ويسوقنا هذا إلى الحديث عن محبـــة الله عبده ، ومحبة العبد لربه تعالي .

---

[1] الجوزية (ابن قيم) المدراج صـــ١٨ .

[2] سورة الذاريات (١٨)

[3] سورة السجدة (١٦)

[4] سورة الزخرف (٦٧)

[5] الجوزية (ابن قيم) طريق الهجرتين صـــ٢٥

أولاً : محبة الله تعالي لعبده

لقد تظاهرت آيات القرآن الكريم على سبق محبة الرب تعالي لعباده الصالحين – فإن الله تعالي جميل يحب الجمال وان صفات الجمال والإحسان إذا تمثلت في العبد أوجبت حب الرب تعالي له وإكرامه إياه قال تعالي " يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ [1] فقد سبق " إيثار من الله تعالي لعباده الصالحين ومعها نهاية الفضل العظيم " [2] ولهذا قال جل شأنه " ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاء " [3] يقولْ زيد بن أسلم " إن الله ليحب العبد حتى يبلغ من حبه أن يقول اصنع ما شئت فقد غفرت لك " [4] وسئل الجنيد (ت ٢٩٧هـ) رحمه الله عنْ المحبة فقال : دخول صفات المحبوب علي البدل من صفات المحبّ ، فهذا على معني قوله :" حتى أحبه فإذا أحببته كنت عينه التي يبصر بها وسمعه الذي يسمع به ، ويده التي يبطش بها " [5] فإذا علم أن " محبة الله سابقة للأسباب عن كلمته الحسني قديمة قبل الحادثات عن عناية العليا ، لا تتغير أبداً ولا تتقلب " [6] فهم المراد من قوله تعالي " إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا الْحُسْنَى أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُون " [7] والذي يجب علينا أن نتفهمه جيداً أن الله تعالي يحب أشياء ويكره أشياء وأن " ما يحب الله وما لا يحب ينصبّ على أمور تتسم بالعموم ، وأن الإنسان عندما يستصحبها يحقق زكاة نفسه ،

---

(١) سورة المائدة ٥٤

(٢) المكي (أبو طالب) قوت القلوب ج٢ صـ٥٧

(٣) سورة المائدة (٥٤)

(٤) المكي (أبو طالب) قوت القلوب ج٢ صـ٥٧

(٥) الحديث له روايات مختلفة في البخاري ١٠٥/٨ كتاب الرقاق باب التواضع وفى المسند (ط الحلبي) ٢٥٦/٦

(٦) الطوسي(السراج) اللمع صـ ٨٨

(٧) سورة الأنبياء (١٠١)

ورفعة جنسه في آفاق الحياة كلها ، فليس الأمر مجرد عبادة داخل المسجد ، بل عبادة في كل مكان " [1] قال تعالي " يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا * فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ بِاللّهِ وَاعْتَصَمُواْ بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِّنْهُ وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَيْهِ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا " [2] وبهذا فشرط محبة الله لعبادة أن يكونوا متصفين بكل قواعد الإيمان بالله تعالي على قلب رجل واحد عصمتهم هي كتاب الله وسنه رسوله ﷺ فإذا حققوا ذلك من أنفسهم وساروا في دروب المحبة اللائقة بجلال الله غشيتهم رحمة الله وفضله وفهموا مراد الله من قوله في المحبين " إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ " [3] ويصدق ذلك الحديث الذي رواه البخاري والذي غايته " عبدي افعل ما شئت فقد غفرت لك " [4] وذلك لأنه علم أن له رباً يأخذ بالذنب فتاب إليه ومعلوم أن الله تعالي يفرح لتوبة عبده المذنب فرحاً يفوق فرح الأم التي فقدت وليدها ثم وجدته وفرح الرجل الذي فقد دابته حتى أوشك على الهلاك ثم وجد الدابه – فرجع إليه أمل الحياة مرة أخرى ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : إن رسول الله ﷺ قال " طهروا هذه الأجساد ، طهركم الله تعالي ! فإنه ليس من عبد يبيت طاهراً إلا بات معه في شعارة ملك لا يتقلب ساعة من الليل إلا قال : اللهم اغفر لعبدك فإنه بات طاهراً " [5] والتوبة والطهارة قرينان يحبهما الله تعالي ، فالتوبة طهرة من الذنوب

---

[1] الشيخ (محمد الغزالي) المحاور الخمسه للقرآن الكريم صـ ١٩١ دار الصحوة للنشر والتوزيع القاهرة طبعة ٢ ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م

[2] سورة النساء (١٧٤ – ١٧٥)

[3] سورة البقرة (٢٢٢)

[4] رواه مسلم باب (سعه رحمه الله وأنها تغلب غضبه) ج١٠ صـ ١٨٨ هامش القسطلاني والأحاديث القدسية ج١ رقم ٢٣٠ صـ٢٣٣ دار أحياء الكتب العربية فيصل عيسي البابي الحلبي.

[5] المنذري (عبد العظيم) ج١ نقلاً عن الطبراني في الأوسط بإسناد جيد

التي لوثت النفس ، ومن ثم " كان لابد من غسل النفس بالتوبة وغسل البدن بالماء وكلاهما طهور " [1] وعن أبي موسى أن رسول الله ﷺ قال " إن الله عز وجل يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار ، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل ، حتى تطلع الشمس من مغربها " [2]

وأيضاً فإن الله تعالي يحب المحسنين . قال تعالي " وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " [3] وفى الحديث الذي تفرد به مسلم عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال " فأخبرني عن الإحسان ؟ قال : أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك ، قال : صدقت " [4] والذي يفهم من الحديث أن المؤمن في مقام الإحسان واقع بين مقامين – أن يعبد الله كأنه يراه – وهذا هو مقام المشاهدة فإن لم يكن يراه فإن الله تعالي يراه وهذا يستلزم منه إتقان العمل فهو في مقام الإخلاص قال الإمام ابن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥هـ) [5] سئل النبي ﷺ عن كشف العورة خالياً فقال " الله أحق أن يستحيا منه " [6] وقد

---

[1] الشيخ (محمد الغزالي) المحاور الخمسة صـ٢٠٢

[2] رواه مسلم والنسائي

[3] سورة البقرة (١٩٥)

[4] قال الإمام ابن رجب الحنبلي في تخريج هذا الحديث في كتاب (جامع العلوم والحكم) المتوفى سنه ٧٩٥هـ مكتبة دار التراث القاهرة ١٩٨٩م هذا الحديث تفرد به مسلم عن البخاري بإخراجه فخرجه عن طريق كهمس عن عبد الله بن بريده عن يحيي بن معمر

[5] الإمام ابن رجب الحنبلي : هو عبد الرحمن بن أحمد بن رجب بن عبد الرحمن بن الحسن الشهير بابن رجب ولا تذكر المصادر سنة مولده ولكنها تجمع على أنه قدم من بغداد مع والده إلى دمشق وهو صغير سنة أربع وأربعين وسبعمائة) ووصفت مجالسه بأنها للقلوب صارعة وللناس عامة مباركة نافعة اجتمعت الفرق عليه ومازالت القلوب بالمحبة إليه) وقد أتقن الحديث وصار أعرف أهل عصره بالعلل وتتبع للطرق، أنظر ترجمته في (ابن العماد . – شذرات الذهب ج٦ صـ٣٣٩ والعليمي المنهج الأحمد ج٢ صـ٤٧٠ مخطوط وجميل الشطي مختصر طبقات الحنابلة صـ٦٤

[6] الحنبلي (ابن رجب) جامع العلوم والحكم صـ٤٧

قال رسول الله ﷺ إن الله كتب الإحسان على كل شيء .. " [1] والله تعالي أفرد للإحسان مكاناً بالغاً في القرآن الكريم فقال تعالي" إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ " [2] لذا فإن الإحسان يضارع الفضل المأمور به وقد جاء عن على بن أبى طالب (ت ٤٠هـ) [3] أن النبي ﷺ قال له : " ألا أدلك على أكرم أخلاق الدنيا والآخرة ؟ أن تصل من قطعك ، وتعطي من حرمك ، وأن تعفو عمن ظلمك " " وذلك هو الإحسان " [4] وهو المقصود من قوله تعالي" الَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي السَّرَّاء وَالضَّرَّاء وَالْكَاظِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ " [5] ولهذا قال تعالي في حق أحبائه المحسنين رافعاً لهم درجتهم " لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ " [6] يقول ابن رجب " وقد ثبت في

---

[1] رواه مسلم باب الصيد والذبائح

[2] سورة النحل (٩٠)

[3] الإمام على بن أبى طالب : صاحب الفضائل العظمي الإمام أبو الحسن ابن عم الرسول صلي الله عليه وسلم أول من أسلم من الصبية شهد المشاهد كلها ولم يتخلف إلا في تبوك فإن رسول الله صلي الله عليه وسلم خلفه في أهله وكان غزير العلم – فتح الله تعالي له خير ووصفه الرسول (بأنه رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله) عن زين جيش قال : قال على رضي الله عنه والله إنه لما عهد إلى رسول الله صلي الله عليه وسلم أنه قال : (لا يبغضني إلا منافق ولا يحبني إلا مؤمن) انفرد بإخراجه مسلم في كتاب الإيمان عن الأعمش (١٣٢ ، ٨١/١) وفى ذخائر المواريث (٥٣٢٣) وأحمد (١٢٨/١) انظر ترجمته (طبقات ابن سعد (٣٣٧/٤ ، ١٩/٣ ، ١٢/٦) نسب قريش صـ (٣٩، ٤٠) وطبقات خليفة (٤، ١٢٦ ، ١٨٩) تاريخ خليفة (١٩٨ ،) وانظر الفهرس والتاريخ الكبير (٦/ ٢٥٩) والمعارف (صـ٢٠٣ ، ٢١٨) والجُرح والتعديل (١٩١/٧) ومروج الذهب (٣٥٨/٢) ومشاهير الأمصار (٦،٧) وحلية الأولياء (٦١/١) ، الاستيعاب (٣/ ١٠٨، ١١٣٣) وصفه الصفوة (١٢١/١ – ١٢٩)

[4] الشيخ (محمد الغزالي) المحاور الخمسة صـ ١٩٧

[5] سورة آل عمران (١٣٤)

[6] سورة يونس (٢٦)

صحيح مسلم عن النبي تفسير الزيادة بالنظر إلى وجه الله تعالي في الجنة ، وهذا مناسب لجعله جزاءً لأهل الإحسان " [1] وإذا كان الله تعالي يحب المحسنين ويحب التوابين ويحب المتطهرين فإنه تعالي يحب المتقين أيضاً لأنه بصلاح المرء يصلح ما حوله فهي سلك ينتظم حياة الإنسان المؤمن بالله تعالي ربا وبالإسلام دينا وبحمد ﷺ رسولاً ولذلك فالتقوى عند المسلم هي " درجة من الانضباط النفسي تحدد مواقف المرء بإزاء العادات والعبادات والمعاملات ومختلف مواقف الإنسان من الحياة " [2] ولهذا أثر عن الإمام على كرم الله وجه ورضي عنه (ت ٤٠هـ) قوله التقوي هي الخوف من الجليل والعمل بالتنزيل والاستعداد ليوم الرحيل ، فلا عجب إذن عندما سئل رجل أعرابي قيل له : لم آمنت بمحمد قال : لأنه ما أمر بشيء وقال العقل ليته ما أمر وما نهي عن شيء وقال العقل ليته ما نهي ، وبهذا " فالإسلام ليس شعراً كثيفاً أو خفيفاً في بعض الوجوه وإنما هو زكاة نفس وسناء خلق ... إنه ذكاء وابتسام وشرف ، وليس عناوين ومظاهر " [3] لذا يقول تعالي " بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ "[4] وعن أنس رضي الله عنه قال : قال لي رسول الله ﷺ " يا بني إن قدرت أن تصبح وتمسي ليس في قلبك غش لأحد فافعل ! ثم قال : يا بني ، وذلك من سنتي ومن أحب سنتي فقد أحبني ، ومن أحبني كان معي في الجنة " [5]

ومن أروع صور المحبة التي يرضي عنها الله تبارك وتعالي ويجعل لها المكانة المرموقة في كتابه العزيز وسنة نبيه الكريم – صورة الجهاد قال

---

[1] الحنبلي (ابن رجب) جامع العلوم صـ٤٦

[2] الشيخ محمد الغزالي، المحاور الخمسة، صـ٢٠٧

[3] الشيخ محمد الغزالي ، السابق صـ٢٠٦

[4] سورة آل عمران (٧٦)

[5] رواه الترمذي ، باب العلم ما جاء في الأخذ بالسنه واجتناب البدع

تعالي " إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنيَانٌ مَّرْصُوصٌ " [1] فما ترك قوم الجهاد إلا ضربهم الله بالذل وهانوا على عدوهم وليس المقصود منه العلو على الآخرين دونما داع له " فالذي يريد العلو على غيره من أبناء جنسه هو ظالم له باغ " [2] " والإسلام يأبي كل الإباء أن يكون الجهاد مشوباً بشهوة خاصة ، بل يجب أن يتمحص لله تبارك وتعالي ، وفى هذه الحال يكون الكر والفر كالركوع والسجود ، عبادة خالصة " [3] ومن هنا يفهم فرض الجهاد ويعرف فضل المجاهدين ولماذا يحبهم الله تبارك وتعالي ؟ ذلك لأنهم يريدون أن تكون كلمة الله هي العليا وكلمة الذين كفروا به وصدوا عن سبيله هي السفلي – فإذا كان للمحبين أن يرهبوا عدو الله وعدوهم فإن فرحهم لشديد حينما يعودون بالناس إلى حظيرة الإسلام مذعنين جميعاً لله رب العالمين وقد ضرب الله تبارك وتعالي لهذا أروع المثل بقصة رسوله سليمان عليه السلام – حينما تجهز ليرد كيد الكفر في بقعه من أرض الله فلما جاءت إلى نور الله صادقة ومزعنة ولسانها وقلبها يقولان ما أخبرنا به الله تعالي " قالت رب إني ظلمت نفسي وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين " [4] كانت هذه النهاية هي الغاية عند المجاهدين – ولذا فإننا نرى الإسلام لا يترك مجال الجهاد يمر دون أن يعلي من قدره – فإن من يخرج بماله ونفسه لا يريد إلا الله تعالي لا يستطيع أحد أن يدعي عدم محبته لله تعالي وعدم حب الله تعالي له وهذا هو السبب الذي جعل المولي يخبر عنهم

---

[1] سورة الصف (٤)

[2] ابن تيمية، شيخ الإسلام أبو العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني (٧٢٨ هـ) كتاب إنعام الباري في شرح حديث أبى ذر الغفارى رضي الله عنه حققه وعلق عليه وقدم له د/ عبد العلي عبد الحميد حامد دار الريان للتراث ، الدار السلفية بومباي – الهند ط١ ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م

[3] الشيخ محمد الغزالي المحاور الخمسة صـ٢٣٧

[4] سورة النمل (٤٤)

بعد استشهادهم في سبيله بأروع المنن وأعز الغايات قال تعالي " وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ* فَرِحِينَ بِمَا آتَاهُمُ اللّهُ مِن فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ* يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ اللّهَ لاَ يُضِيعُ أَجْرَ الْمُؤْمِنِينَ " [1] وأيضاً فإن السنة النبوية المطهرة تسجل على صفحاتها هذه المحبة العبقة والتي لم تكن لأحد بقدر ما كانت لأمة محمد صلي الله عليه وسلم خير الأمم وأصلحها لقيادة البشرية إلى محاب الله تعالي فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ تكفل الله لمن جاهد في سبيله ، لا يخرجه من بيته إلا جهاد في سبيله وتصديق بكلمته بأن يدخله الجنة أو يرجعه إلى مسكنه مع ما نال من أجر وغنيمة " [2] وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما (ت ٧٨هـ) [3] يقول : لما قتل عبد الله بن عمرو بن حرام (ت ٣هـ) [4] يوم أحد قال رسول الله ﷺ : يا جابر ألا أخبرك ما

---

[1] سورة آل عمران (١٦٩ - ١٧١)

[2] رواه البخاري كتاب الجهاد والسير باب قول النبي صلي الله علية وسلم (أحلت لكم الغنائم)

[3] جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام رضي الله عنه : يكني أبا عبد الله شهد العقبة مع السبعين وكان أصغرهم يومئذ وأراد شهود بدر فخلفه أبوه على أخواته وكن تسعاً وخلفه أيضا يوم أحد ثم شهد ما بعد ذلك كان من الاثني عشر رجلاً الذين بقوا مع رسول الله صلي الله عليه وسلم يوم الجمعة عندما أقبلت العير فانفض الناس إليها . توفي رضي الله عنه سنة ثمان وسبعين بالمدينة بعد أن ذهب بصره انظر ترجمته تهذيب الكمال (١٧٩/١) تهذيب التهذيب (٤٢/٢) تقريب التهذيب (١٢٢/١) خلاصة تهذيب الكمال (١٥٦/١) تاريخ البخاري الكبير (٢٠٧/٢) تاريخ البخاري الصغير (١٢/١ ، ٥١١ ، ١٦١ ، ١٩٠) ، الجرح والتعديل (٢ / ٢٠١٩) صفة الصفوة (٢٥١/١)

[4] عبد الله بن عمرو بن حرام بن ثعلبة أبو جابر : أحد النقباء شهد العقبة مع السبعين وبدراً وأحدا واستشهد يومئذ كان جابر يبكي أباه فقال النبي صلي الله عليه وسلم (ابكيه أو لا تبكيه مازالت الملائكة تظله بأجنحتها حتي رفعتموه) (مسلم ١٥١/٧) والنسائي (١١/٤) ولقي الرسول صلي الله عليه وسلم جابراً فقال (أي بني ألا أبشرك ؟ إن الله تعالي أحيا أباك فقال : تمنه فقال : يارب ، أتمني يارب أن تعيد روحي وتردني إلى الدنيا حتى أقتل مرة أخرى . قال : إنى قضيت أنهم إليها لا يرجعون) (أحمد ٣٦١/٣) وعن جابر قال صرخ بنا إلى قتلانا يوم أحد حين أجرى معاوية العين ، فأخرجناهم بعد أربعين سنة لينة أجسادهم تنثني أطرافهم . انظر ترجمته ، الحلية (٤/٢) طبات ابن سعد (١٠٥ /٢/٣) ، الجرح والتعديل (١١٦/٥) أسد الغابة (٣٤٦/٣) الإصابة (١٧٦) تاريخ خليفة (٧٣) الاستيعاب (٣٢٩/٦) .الاستبصار (١٥٠ ، ١٥١)

قال الله عز وجل لأبيك ؟ قلت : بلي ، قال : ما كلم الله أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحاً ، فقال : يا عبدي تمن على أعطك قال : تحييني فأقتل فيك ثانية ، قال : إنه سبق مني أنهم إليها لا يرجعون ، قال : يارب فأبلغ من ورائي فأنزل الله عز وجل – هذه الآية [1] " وَلاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ "[2] ومن هنا فان الحقيقة التي يجب أن تعلن أن الله تعالي ما كان ليحب الجهاد ويدعو إليه ويرفع منزلته إلا لأن فيه صالح الجماعة المؤمنة . وأيضاً فإن لوحة المحبة التي رسمها الإسلام قرآنا وسنة واتباعاً لا تتوقف عندما ذكرته من صور محبة الله تعالي لعباده ولكن الحديث أعظم وأشمل وأكبر من أن تحصيه هذه الورقات وليس على المسلم إلا أن يتصفح كتاب الله ويدرسه ويدرس سنه نبيه حتى يتعرف على ما اختص الله به عباده الطائعين المتذللين إليه بكل صور ومعاني الحب والعبودية لله تعالي .

ثمرات المحبة :

أن الله تعالي " لا يعذب من أحبه لأنه رد على من أدعى محبته بقوله " قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم " [3] فالحبيب لا يعذب حبيبه ولذا فقد شرط الله تعالي للمحبة الخالصة له في اتباع ما أمر به وفى اتباع رسوله الذي اصطفاه وأرسله أن لا يعذب الطائعين المحبين لأنه تعالي قد غفر لهم ذنوبهم بمحبتهم لحبه ولكل ما أحبه قال تعالي " قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ "[4]

---

[1] رواه ابـــن ماجه لفظه في سننه باب فضل الشهادة في سبيل الله وأيضاً الترمذي بلفظ قريب وقال حديث حسن غريب .

[2] سورة آل عمران (١٦٩)

[3] سورة المائدة (١٨)

[4] سورة آل عمران (٣١)

ومن علامات محبه الله تعالي للعبد وثمراتها أيضاً : الابتلاء وذلك لأن المعادن لا يعرف زهيدها من ثمينها إلا بإلقائها في النار التي تصفيها وقد روي الإمام الترمذي عن النبي ﷺ " أن الله إذا أحب عبداً ابتلاه " والابتلاء يكون بالطاعات والصبر عليها ومراقبة الله تعالي في السر والعلن فإذا فعل العبد ذلك صار في معية الله ومن كان في معية الله كان الله في معيته و" معية الله لمن يحبهم .. هي معية خاصة يخص بها أحباءه وأولياءه .. وأهل حضرته وقربه .. هي معية نصر وتكريم .. معية تأييد وحفظ .. معية عناية ورعاية .. " [1]

وأيضاً من علامات حب الله للعبد : وهي من أقواها " حسن التدبير له " [2] وهو ما يطلق عليه أيضاً العناية الإلهية بأن يتولاه سبحانه من أول خلقه حتى نهاية حياته – يرعاه نطفه ويربيه طفلاً ويكتب الإيمان في قلبه قال تعالي " أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ " [3] وينور له بصيرته فيتبع كل ما أمر الله به وينفر عن كل ما يبعد عنه . ويكون وليه في الدنيا والآخرة قال تعالي " أَلا إِنَّ أَوْلِيَاء اللّهِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ"[4] فإذا حدثت ولاية الله لعبده سدد ظاهره وباطنه وجعل همَّه همّاً واحداً "فإذا زادت المحبة شغله به عن كل شيء " [5] وفى ضوء هذا يفهم قول السيدة عائشة عندما سئلت عن خلق رسول الله ﷺ قالت (كان خلقه

---

[1] ابن الشريف (الدكتور محمود) الحب في القرآن صـ٥٧ ضمن سلسلة اقرأ دار المعارف ١٩٩٤م

[2] المقدسي (ابن قدامة) مختصر منهاج القاصدين صـ٣٣٩ تحقيق الأستاذ / سيد عمران ، الشيخ محمد عقلاني ، والدكتور السيد محمد سيد وأيضاً (مختصر منهاج القاصدين صـ٣٣٣ مكتبة أسامة الإسلامية)

[3] سورة المجادلة (٢٢)

[4] سورة يونس (٦٢)

[5] المقدسي (ابن قدامة) مختصر منهاج القاصدين صـ٣٩٩ تحقيق د/ السيد محمد سيد

القرآن) [1] والمتدبر للقرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة يرى بوضوح عظيم عناية الله وتدبيره لكل من أحبهم بل لعبادة عامة قال تعالي "وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ " [2] وإن من أظهر صور العناية والتدبير لتظهر في حياة رسولين كريمين من رسل الله أولهم كليم الله موسى عليه السلام ، إذ سبقت عناية الله له كل تدبير من فرعون وجنده للقضاء على الخير والحب في الدنيا قال تعالي " وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ"[3] بل لم يتوقف الأمر عند ذلك في عناية الله لموسى عليه السلام فالله تعالي يزرع له البقاء على عكس ما يريد الأعداء له قال تعالي " وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَى عَيْنِي " [4] ولم تكن هذه الصناعة في العناية صناعة وقتية بل استمرارية لأن عليها مدار الرسالة الإلهية لهؤلاء القوم – لهذا قال الله في حق صناعة سفينة نوح عليه السلام –" وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا" [5] أي لتتخيله عليها بعنايتنا وتحت رعايتنا " وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي " [6] أما الفضل الأعم والرعاية والعناية الأكمل فتتضح في قوله تعالي في حق موسى عليه السلام " وَاصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي" [7] يقول الزمخشري في تفسير هذه الآية " أهله لئلا يكون أحد أقرب منزلة فيه إليه ولا ألطف محلاً فيصنعه بالكرامة والأثرة ويستخلصه لنفسه ،

---

[1] سبق تخريج هذا الأثر عن السيدة عائشة رضي الله عنها في مسند أحمد ج٦ صـ٩١ رقم ٢٤٦٤٥

[2] سورة النحل (٧٨)

[3] سورة القصص (٧)

[4] سورة طه (٣٩)

[5] سورة هود (٣٧)

[6] تفسير المنتخب في القرآن الكريم صـ ٣١٣

[7] سورة طه (٤١)

فلا يبصر ولا يسمع إلا بعينه وأذنه ، ولا يأتمن على مكنون سره إلا سواء ضميره " [1] وأما الصورة الثانية في العناية لرسول من رسل الله فهي عناية الله نبيه وخليله محمد ﷺ فقد شاءت حكمة الله تعالي له أن يكون نسبه منتخباً من أطيب الأعراق وأشرف الأنساب ، فعن رسول الله ﷺ " أنه قال : إن الله اصطفي كنانة من ولد إسماعيل واصطفي قريشاً من كنانة واصطفي هاشماً من قريش واصطفاني من بني هاشم " [2] ولقد ولد الرسول الكريم ﷺ يتيماً لحكمة من الله لكي " تتولاه عناية الله وحدها بعيداً عن الذراع التي تمعن في تدليله والمال الذي يزيد في نعمته ، حتى لا تميل به نفسه إلى مجد المال والجاه ، وحتى لا يتأثر بما حوله من معني الصدارة والزعامة ، فتلتبس على الناس قداسة النبوة بجاه الدنيا ، وحتى لا يحسبوه يصطنع الأول ابتغاء الوصول إلى الثاني " [3] ثم تتوالي أحداث العناية الإلهية برسوله ﷺ والتي تعد من الكثرة في كتب السيرة بمكان ولعنا كلنا نقرأ سورة الشرح فنعيش معها ومع عظيم الفضل وعِظَمِ المنَّة من الله برسوله الكريم قال تعالي " أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ* وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ *الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ * فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا * فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ * وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ " [4] وتتوالى العناية الإلهية به عليه الصلاة والسلام حتى تأتيه الرسالة فيصدق فيه قول الله تعالي " وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ "

---

[1] الزمخشري (الإمام محمود بن عمر) الكشاف ج٣ صـ٥٦

[2] رواه مسلم بسنده ج٤ صـ١٧٨٢ رقم ٢٢٧٦

[3] البوطي (دكتور محمد سعيد رمضان) فقه السيرة صـ٥١

[4] سورة الشرح

[1] ولماذا ؟ لأنه صدق بالله تعالي فكان خيراً للعالمين وصدق الله " آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ " [2] وما أجمل ما قال القائل عنه ﷺ :

جل الذي بعث الرسول رحيما ليرد عنا في المعاد جحيماً

وبه لنرجوا جنة ونعيما أضحي علي المولي الكريم كريما

يا أيها الراجون منه شفاعة صلوا عليه وسلموا تسليما [3]

ومبلغ القول في عناية الله برسوله وسابق حبه وإعزازه له أنه جعله خاتم المرسلين ولكنه فضله عليهم بالسبق وبكتاب عربي مبين لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقد جعل فيه طاعته من طاعته فقال عز وجل " مَّنْ يُطِعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ " [4] وجعل محبته من محبته فقال تعالي " قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ " [5] وتتجلى بذلك قدم الصدق للرسول الكريم في تفضيل الله له حيث بعثه آخر الأنبياء ، ثم ذكره في أولهم في قوله تعالي " وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا " [6] وصدق القائل :

ما ضل عن وحي الإله وما غوى حاشا رسول الله ينطق عن هوى

الصادق الثقة الأمين بما روي قد نال من رب السماء علوما

---

[1] سورة الأنبياء ١٠٧

[2] سورة البقرة (٢٨٥)

[3] نقلا عن كتاب (صور من عظمة الإسلام) للشيخ عبد الحميد كشك صـ ٦ ، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م

[4] سورة النساء (٨٠)

[5] سورة آل عمران (٣١)

[6] سورة الأحزاب (٧)

فما أروع عطاء الله للبشرية برسولهم ﷺ وما أروع منة الله بك يـا حبيب الله :

يا من له الأخلاق ما تهوي العلا

منهـا ومـا يتعشق الكبـراء

زانتك في الخلق العظيم شمائل

يغري بهن ويولـع الكرمـاء

بك يا ابن عبد الله قامت سمحة

بالحـق من ملل الهدي غراء

يا مـن له عز الشفاعة وحـده

وهـو المنزه مالـه شفعـاء

أنـت الـذي نظم البرية دينـُهُ

ماذا يقـول وينظم الشعـراء

المصلحون أصابع جمعـت يداً

هي أنت بل أنت اليد البيضاء [1]

ثانياً : وأما محبه العبد لله تعالي

فهي ثابتة أيضاً ومعلومة بالكتاب والسنة وهي كما أجمع عليها المحققون من العلماء فريضة على المؤمن لأنه لا يقبل منه عمل من غير أن يكون خالصاً لله تعالي وخلوص العمل غايته أن يكون خالصاً في النية ثم في

---

[1] أحمـد شـوقي (أمـير الشعراء) أجمل ما كتب أمير الشعراء (مكتبة الأسرة) الهمزية النبوية

الأداء وهو معني حديث النية الذي يرويه الشيخان البخارى ومسلم – فعن أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : " إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرئ ما نوى ، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه " [1] والذي يفهم من الحديث أن كمال القصد في الأعمال لا يتم إلا بمحبه الله تعالي ورسوله وليست المحبة هنا هي التي يدعيها كل أحد فليس الحب بالإدعاء . " فما أسهل الدعوى وأعز المعني " فإن النفس والشيطان يسولان للإنسان إدعاء المحبة فإذا حصل هذا فلابد للعبد أن يمحصها ويختبرها فإن أنكرت العمل فهي ليست بمحبة وصدق القائل :

لو كان حبك صادقاً لأطعته إن المحب لمن يحب مطيع

ولهذا فإن السراج الطوسي (ت٣٧٨هـ) يرى أن حال المحبة يصح في حق عبد " نظر بعينه إلى ما أنعم الله به عليه ، ونظر بقلبه إلى قرب الله تعالي منه وعنايته به وحفظه وكلاءته له ، فنظر بإيمانه وحقيقة يقينه إلى ما سبق له من الله تعالي من العناية والهداية وقديم حب الله له ، فأحب الله عز وجل " [2] وفى هذا تصديق لقول الله تعالي " يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ " [3] أي يبادلونه المحبة وفى الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ: إن الله يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي ؟ اليوم أظلهم في ظلي يوم

---

[1] رواه البخارى ج١ صـ٣ رقم ١ ، كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي على الرسول صلي الله عليه وسلم ولنظر جامع العلوم والحكم لابن رجب صـ٩ مكتبة دار التراث القاهرة

[2] السراج الطوسي (اللمع) صـ٨١

[3] سورة المائدة : ٥٤

لا ظل إلا ظلي " [1] وفي رواية للترمذي عن معاذ ابن جبل رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول قال الله عز وجل : المتحابون في جلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء " [2] قال سهل (ت ٢٨٣هـ): من أحب الله فهو العيش ، ومن أحب فلا عيش له ويقول أبو بكر الكلاباذي في هذا المعني " معني هو العيش أنه يطيب عيشه ، لأن المحب يتلذذ بكل ما يرد عليه من المحبوب من مكروه أو محبوب ، ومعني لا عيش له لأنه يطلب الوصول إليه ويخاف الانقطاع دونه فيذهب عيشه " [3] ولهذا فإن " أسعد الخلق حالاً في الآخرة أقواهم حبا لله تعالي " [4] وذلك لأن الآخرة يساق فيها الناس جميعاً مؤمنين وكافرين إلى حيث مولاهم الحق فتكون السعادة للصادقين في محبتهم لله تعالي . وهي التي حكمت بها العقول في الدنيا على محبة النفس والأهل والمال والولد وكل ما سواه ، وكل من لم يحكم عقله بهذا : فلا تعبأ بعقله . فإن العقل والفطرة والشرعة والاعتبار ، والنظر تدعو كلها إلى محبته سبحانه ، بل إلى توحيده في المحبة ، وإنما جاءت الرسل بتقرير ما في الفطر والعقول " [5] وعلى هذا فإنه قد تأكد أن الحب ليس ادعاءاً ولا كلاماً يقال ، وإنما للحب علامات تظهر على من يحب وترى ، واختبارات له تجري عليه ليعلم إن كان صادقاً أو مدعياً.

وأول هذه العلامات : أن يقيم العبد الشرع لله تعالي إقامة تامة غير منقوصة في الأداء ولا في القصد وأول درجات إقامة الشرع حسن السمع

---

[1] رواه مسلم ج٤ صـــ١٩٨٨ رقم ٢٥٦٦

[2] رواه الترمذي في سننه ج٤ صـــ٥٩٧ رقم ٢٣٩٠ ، مسند أحمد ج٣ صـــ٢٨٥ رقم ١٤٠٦٩

[3] الكلاباذي (أبو بكر محمد) التعرف لمذهب أهل التصوف صـــ١٢٩

[4] الغزالي (الإمام) إحياء علوم الدين ج٤ صـــ٣١٥

[5] الجوزية (ابن قيم) مدارج السالكين ج٣ صـــ٤٣

والطاعة لله والرسول – قال تعالي " وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ " [1] وقال أيضاً " مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ "[2] وهذه الطاعة ليست ناقصة بل كاملة مستلزمة لطاعة الرسول الذي بعثه الله قال تعالي " وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا " [3] فإذا تأكدت الطاعة تأكد بها الحب فأنس المحب إلى محبوبة وتشوق إليه ، فتجده متحسباً لمواعيده ، مستعجلاً الدقائق والساعات ليحظى باللقاء " [4] ولهذا كانت فريضة الصلاة فالصلاة " قرة عيون المحبين ، وسرور أرواحهم ولـذة قلوبهم فلا يزن العبـد إيمانه ومحبته لله بمثل ميزان الصلاة " [5] لذلك يقول تعالي " وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ " [6] فهي السبب المباشر للقرب من الله تعالي فإذا دخل فيها العبد كان عليه أن يعلم أنه سينال شرف لقاء من " لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ " [7] فعبده (كأنه يراه) لا يلتفت عنه إذ كيف يلتفت عمن عنده قربه وإليه أنسه وبه يحيا ويموت ولذته في أن يحظى برضاه ولهذا قال سيد المحبين (جعلت قرة عيني في الصلاة) [8] ذلك لأن العبد يعلم أن الله تعالي هو أنيسه فيها لم يوكل بها ملك بل أقبل هو سبحانه على عبده كلما أقبل عليه فقال تعالي " قسمت الصلاة بيني وبين عبدي

---

[1] سورة آل عمران (١٣٢)

[2] سورة الروم (٣١)

[3] سورة الأحزاب (٣٦)

[4] خليفة (عبد الله) هل تحب الله صـــ٨١

[5] الجوزية (ابن قيم) طريق الهجرتين صـــ٣٠٧

[6] سورة العلق (١٩)

[7] سورة الشورى (١١)

[8] الحديث : في سنن النسائي ج٧ صـــ٦١ رقم ٣٩٣٩ ، ومسند أحمد ج٣ صـــ٣٨٥ رقم ١٤٠٦٩

نصفين ، ولعبدي ما سأل ، فإذا قال العبد (الحمد لله رب العالمين) قال الله عز وجل : حمدني عبدي ، وإذا قال (الرحمن الرحيم) قال الله عز وجل أثني عليّ عبدي ، وإذا قال (مالك يوم الدين) قال الله : مجدني عبدي وقال مرة : فوّض إلى عبدي ، فإذا قال (إياك نعبد وإياك نستعين) قال هذا بيني وبين عبدي ولعبدي ما سأل ، فإذا قال : (اهدنا الصراط المستقيم صراط الذين أنعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين) قال : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل) [1] فإذا حدث هذا للعبد فأشرقت نفسه بأنوار الحضرة الإلهية . صار متطلعا إلى أحب لقاء فقال (أرحنا بها يا بلال) [2] ثم أقبل على ربه في نهاره وليله عندما نام الناس " فالليل وقت للقاء الأحبة ".[3] .

الإيثار وعلاقته بالمحبة :

الإيثار من أبين علامات المحبة لله تعالي وفيه جل شأنه إذ المحبون قد آثروا الله تعالي على سواه حتى أخبر سبحانه عنهم بقوله " وَالَّذِينَ آمَنُواْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ " [4] ولا يتحقق الإيمان للعبد حتى يؤثر محبة الله تعالي ومحبة صفيه وحبيبه على ما سواها وهي فرض على العباد ، فمن لم يقم بقلبه هذا الحب فهو ليس بمؤمن ، قال ﷺ " لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من أهله وماله والناس أجمعين " [5] لذا فقد توعد الله تعالي من آثر غيره عليه وآثر ما يحبه غير الله تعالي على محبته تعالي فقال " قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ

---

[1] الحديث : مسلم ج١ صـ٢٩٦ رقم ٣٩٥ وسنن الشخدي ج٥ صـ٢٠١ رقم ٢٩٥٣

[2] مسند أحمد ج٥ صـ٣٦٤ وسنن أبي داود ج٤ صـ٢٩٦

[3] عبد الله خليفة (هل تحب الله) صـ٨٥

[4] سورة البقرة (١٦٥)

[5] البخاري ٨/١ كتاب الإيمان باب حب الرسول مسلم ١٥/٢ كتاب الإيمان باب وجوب محبة الرسول أكثر من الأهل – النسائي ١٠٠/٨ كتاب الإيمان وشرائعة باب علامة الإيمان ابن ماجة ٢٦/١ المقدمة في باب الإيمان

وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ " [1] وبهذا فإن من انتفت عنده هذه الحقيقة الإيمانية فقد انتفي الإيمان كله وإيثار الله تعالي يستلزم إيثار أهله وأحبابه وانتفاؤها ينفي كمال الإيمان إذ إن (نفس الشيء على معني الكمال عنه مستفيض) [2] وقد أخبرنا الرسول ﷺ عن هذا في كثير من أقواله منها قوله (لا يبلغ عبد حقيقة الإيمان حتى يحب للناس ما يحب لنفسه من الخير) [3] وقد اكتمل هذا في أولياء الله تعالي والصحابة والتابعين فآثروا الله تعالي وآثروا أحبابه حتى مدحهم سبحانه في كتابة وأعلى ذكرهم فقال في التنزيل " يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ " [4] ذلك لأنهم شغلوا بالهم به وتبتلوا إليه بالكلية فكان ذلك علامة واضحة جلية على محبة العبد لرب الأرض والسماء قال ابن القيم " إيثار محابه على محابك عند غلبات الهوى والتسنم إلى محابة وإن صعب المرتقي " [5] وجاء في إنجيل برنابا ما يدل على وجوب إيثار الله عز وجل على ما سواه وعبادته بكل نفسك وقلبك : " الحق أقول لكم لا تقول الشريعة (اعبد) بل (أحب الرب إلهك بكل نفسك وبكل قلبك وبكل عقلك " ثم قال يسوع : " أصحيح هذا "؟ فأجاب كل واحد : " إنه لصحيح " ثم قال يسوع حقاً أن كل ما يحبه الإنسان ويترك لأجله كل شيء سواه فهو إلهه ، وهكذا فإن صنم الزاني

---

[1] سورة التوبة : (٢٤)

[2] فتح البارى ١/٥٤

[3] ابن ماجة ١/٢٦ المقدمة باب في الإيمان

[4] سور الحشر (٩)

[5] ابن القيم، المدارج ج٣/١٣

هو الزانية وصنم النهم والسكير جسده وصنم الطماع الفضة والذهب وقس عليه كل خاطئ آخر " [1]

الحب يزيد وينقص :

كما أن الإيمان يزيد وينقص تبعاً لحالة العبد من استكمال شروطها وأسبابها فهكذا الحب أيضاً والحب مرتبط بالمعرفة فلتفاوت وتعدد درجات المعرفة تكون درجات المحبة وهذا الذي نتحدث عنه في حق العبد إذ لقصوره وتعلقه بالذنوب يقصر عن معرفة ربه تمام المعرفة وهذا طبيعي وربما تزول عنده محبه التنفيذ وذلك بسبب الغفله والمعصية يقول ابن حجر (إن ذلك سريع الزوال بتوالي الغفلات) [2] ولذ يوصف بأنه محب وعاشق ومتوله ومستأنس أو غير ذلك مما يتناسب وحاله ومعرفته وقربه أما المحبة في حق الله تعالي فهي وصف واحد يزيد وينقص بحسب قرب العبد المبني على مدي معرفته لِقَدْرِ الله تعالي وتصوره لحقه عليه فلا يجوز القول بأنه تعالي (يعشق أو يستأنس أو يتوله ولكن أوثق ما يقال في حق الله تعالي إنه يحب عبده كما أثبت سبحانه وتعالي هذا في كتابة العزيز "يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ " [3] وقد قدم حبه على حبهم له – لأن المعرفة الكاملة التامة عنده سبحانه أكمل منها عندهم .

وإذا كان الإنسان متسم بالغفلة فإن محبة الله ورسوله الاعتقادية باقية إلا أنها لا تكون بنفس القدر النابع من أهل الاستقامة فالمحبة التامة تتطلب من العبد الاجتهاد في طلب المحبوب من أقرب الطرق وأقومها أما المحبة

---

[1] إنجيل برنابا ،الفصل الثاني والثالث والثلاثين صـــ٤٨ ، ٤٩

[2] ابن حجر ،فتح البارى ٥٦/١ (ابن حجر العسقلاني)شهاب الدين أبي الفضل أحمد بن على المطبعة الكبرى الخيرية ببولاق – مصر – بدون تاريخ

[3] سورة المائدة (٥٤)

المترددة فهي تزيد وتنقص فالمرء يحب الله تعالي ورسوله ويتمني أن يفعل ما أمر به لكن شهوته وقصوره تبعده عن الطريق فيقع بين حبين حب الله ورسوله وحب الشهوات ودوافع الهوى ولكنه مهما أذنب فليس بكاره لله ولرسوله ولا لأمره ونهيه وإنما هـو محب رغم أنه "متباطئ في سيره أيضاً" [1]

وإنما يتحقق كمال الاتباع بأمرين :

أولهما : الاعتقاد

والثاني : العمل بالاعتقاد فإذا تم له هذا بلغ من الكمال بحسبه ويكون المحب قد أتي بركني المحبة المندوب والمفروض [2] وذلك لأنه معتقد محبة الله تعالي والرسول ، وحينئذ لا يكون هناك (تنافي بين ارتكاب النهي وثبوت محبة الله ورسوله في قلب المرتكب) [3] وذلك لسببين كما بين ذلك الإمام الغزالي : الأول : أنه باعتقاد محبة النبي ﷺ يكون قد أتي بأصل النجاة ولكن لضعف المعرفة وقوة الشهوة لم يستطع القيام بحق المحبة " [4] والعقيدة أساساً مرتكزة في القلب لأنها من " أعمال القلوب . والنية هي الأصل والعمل تابع ، وليس من لازم المعية الاستواء في الدرجات " [5] .

الثاني : أن إثبات تلك المحبة في قلبه متوقف على الندم والمرء يطهر بإقامة الحد عليه وقد روي عن عمر بن الخطاب ، أن رجلا على عهد النبي

---

[1] ابن تيمية (الرسائل والمسائل) ١٢٧/٢- ١٢٨ ط ١ – المنار

[2] ابن تيمية ، قاعدة في المحبة صـ١٦٣ مخطوطة مصورة بمعهد المخطوطات العربية رقم ٣٣٠ تصوف

[3] ابن حجر، فتح الباري ٦٩/١٢

[4] الغزالي ، إحياء علوم الدين ٣٢٢/٤ ط مصطفي الجلي ١٣٥٨هـ ١٩٣٩م

[5] ابن حجر ،فتح الباري ٤٦٠/١٠

ﷺ كان اسمه عبد الله وكان يلقب (حماراً وكان يضحكه ﷺ وكان يؤتي به فيجلد في الخمر ، فأتي به يوما فجلد ، فقال رجل من القوم اللهم العنه ما أكثر ما يؤتي به ، فقال النبي ﷺ : لا تعلنوه فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله [1] والمرء من الممكن أن تجتمع فيه الرحمة من جهة والعذاب والبغض من جهة أخرى وهذا ما عليه أهل السنه والجماعة خلافاً للخوارج والمعتزلة الذين نفوا ذلك فألزمهم ذلك تخليد أهل التوحيد في النار ممن هم من مرتكبي الكبيرة وقد جاء سائل يسأل النبي ﷺ عمن في قلبه حب الله ورسوله ، ولكنه لم يقو على أداء ما أمر به ولم يأت بكثير صلاة أو صيام أو غيرها من الأمر والنهي وقد روي أنس رضي الله عنه أنه قال : قال رجل يا رسول الله متي الساعة ؟ قال ما أعددت لها قال: أني أحب الله ورسوله قال فأنت مع من أحببت . [2] وهذا الحديث وغيره مما يدل دلالة قوية على أن المحبة الصادقة تنجي صاحبها من العذاب ولكن بالشروط السابقة وأولها حسن الاعتقاد ، وقد أنشد الشافعي رحمة الله تعالي في ديوانه :

أحب الصالحين ولست منهم ... لعلي أنال بهم شفاعة

وأكره من تجارته المعاصي ... ولو كنا سواء في البضاعة [3]

" حلاوة الإيمان "

قال رسول الله ﷺ ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد نبياً ورسولاً " [1] وكل من رضي بهذا فإن الله تعالي يذيقه

---

[1] فتح الباري ، ٦٦/١٢ – ٦٧ ٦٨ كتاب الحدود باب ما يكره من لعن شارب الخمر وانه ليس بخارج عن الملة

[2] صحيح مسلم ،كتاب الفضائل ١٥٣/١٥ فضائل أبي بكر

[3] ابن حبان ، ٤٧١/١ كتاب الإيمان – باب الصحبة والمجالسة

حلاوة الإيمان حتى تستقر في قلبه فإذا تمكنت منه صارت محبتها في قلبه لا يضارعها شيء آخر حتى لو كانت ملذات الدنيا كلها وكلمة التوحيد " لا إله إلا الله تقتضي بل وتوجب المساواة بين الناس في الحقوق والواجبات ، فلم يبق بين الناس من يتميز عليهم ميزة يستعلي بها عليهم فيترفع ويتكبر ، أو يستعبد الناس أو يتحكم فيهم أو يحكمهم بغير شرع ربهم ، كما جاء مضمون ذلك في كتاب رسول الله ﷺ إلى هرقل ملك الروم " [٢] وعن أنس عن النبي ﷺ قال رسول الله (ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان : من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله ، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكرْه أن يقذف في النار) [٣] وتدل آيات المحبة والأحاديث أيضاً على إشارات ودلالات هامة :

١- أن المحبة التي يُعتد بها وتقبل عند باريها هي الشاملة التي تجمع بين الله والرسول في قلب المؤمن فأما من ادعي محبة أحدهما دون الآخر فإنه كاذب في محبته وقوله مردود عليه قال تعالي "قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ" [٤] .

٢- أن العمل بشرائع الإسلام مع تمام الحب لله وللرسول هو التوحيد المحض الذي لا يخالطه شرك البتة .

٣- يدل الهدي الإلهي والنبوي على أن العبد إذا صبر على طاعة الله والرسول وفعل جميع أعمال التوحيد بعد أن ذاق حلاوة الإيمان

---

[١] فتح المبدي بشرح مختصر الزين شرح الشيخ عبد الله الشرقاوي ج٥٢/١ مطبعة مصطفي الحلي / مصر ١٣٣٩هـ

[٢] الجزائرى عقيدة المؤمن صـ٧٩

[٣] البخاري ١٠/١ – ١١ كتاب الإيمان ، مسلم ١٣/٢- النسائي ٧٨/٨ ، ابن حبان ٢١٩/١ ، الترمذي ١٥/٥ ، باب ١٠

[٤] سورة آل عمران (٣١)

وعرف الفرق بينهما وبين الكفر.والفسوق والعصيان ما يوحي بأن من لم يقم بالأمر الإلهي فقد خسر وصار من أصحاب الجحيم والمؤمنون دائماً يتحاشون أن " ينسبوا شيئا من صفات الربوبية لغير الله تعالي " [1]

٤- وفيها إشارة إلى ضرورة التحلي بالفضائل ، وخلع الرذائل مما يقوى الحب في الله تعالي " [2]

٥- أن يذوق المؤمن بعد هذا طعم الإيمان ويتحقق له هذا الذوق في أمرين الأول : الإحساس بلذة القيام بالطاعة ، وترك المخالفة ، وإيثار الدين على الهوى لـذا فـإن رسول الله ﷺ كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة [3]

الثاني : أن هذا الذوق ليس ذوقاً معنوياً بل هو ذوق يصل إلى الحس فهو كالتذاذ اللسان بالعسل وغيره لأن المحب قد توحد مع حبه فصار لا يشعر بخلافه بل يترك كل الملذات من أجل هذه اللذة فصارت عوضاً له بل صارت تخالط الشعور والإحساس قال ﷺ في حق تارك الكبيرة " من تركها مخافتي أبدلته إيماناً يجد حلاوته في قلبه [4] ويقول الحارث المحاسبي(ت ٢٤٣هـ) في وصف المحبين :" أذاقهم الله طعم محبته ونعمهم بدوام العزوبة في مناجاته ، فقطعهم ذلك عـن الشهوات وجانبوا اللذات ، ودامـوا في خدمة ملك الأرض والسموات " [5]

---

[1] عقيدة المؤمن – الجزائرى صـ٦٩

[2] فتح الباري ، ٥٨/١

[3] مسلم ٢/٢ كتاب الإيمان ، باب ذاق طعم الإيمان ، الترمذي ١٤/٥

[4] مسند أحمد ٣٨٨/٥

[5] القصـد والـرجوع إلـى الله صـ١٠٠ دراسه وتحقيق د/ عبد القادر أحمد عطا – دار التراث العربي ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م

إذا ما كانت المحبة مع الله هي أعلى اللذات لأنها جاءت امتثالاً لأمر الله ورسوله فإن ثمارها هي أحلي الثمار في الدنيا والآخرة . فعن أبي ذر الغفارى رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ أفضل الأعمال الحب في الله والبغض في الله " [1] بهذا فإن الرسول ﷺ قد حرص على أن يدخل السرور إلى قلوب المحبين أنهم قد أتوا بأفضل الإيمان ولأن الإيمان يزيد وينقص فالمتحابون في الله على الذروة منه . فعن عمرو بن الجموح رضي الله تعالى عنه : أنه سمع النبي ﷺ يقول : لا يجد العبد صريح الإيمان حتى يحب لله ويبغض لله فإذا أحب لله وأبغض لله فقد استحق الولاية لله [2] لقد رضي الله عنهم بحسن فعالهم ومحبتهم لبعضهم فمنحهم منه مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال تعالي " رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ" [3]

---

[1] سنن أبى داود ١٦/٣

[2] مسند الإمام أحمد ٤٤١/٣

[3] سورة المائدة (١١٩)